ذكريات من يوغسلافيا

رحلة ودراسات في شئون المسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الاولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

مطابع الفرزدق التجارية


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئآت أعمالنا. ونصلي ونسلم على عبده ورسوله سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه.

أما بعد؛ فإن جمهورية (يوغسلافيا) الاتحادية تتعرض في هذه الأيام لأحداث جسام وصلت إلى حد تفككها، واستقلال جمهوريات عنها وانفصالها منها، وفي مثل هذه الحال يود كثير من القراء أن يعرفوا شيئًا عن أحوالها السابقة، وبخاصة فيما يتعلق بأمور المسلمين داخلها، سواء أكان ذلك فيمابقي منها من جمهورية صربيا والجبل الأسود أو ما انسلخ منها في الحروب مثل (كرواتيا) أو (سلوفينيا) و(البوسنة والهرسك).

وبخاصة بعد أن اعتدى الصرب الحاقدون على المسلمين في البوسنة والهرسك، وشنوا عليهم حربًا ضروسًا همجية، رآها العالم كله. واعتدوا على شعب قوصوف (كوسوفو) فحرموه من أبسط حقوق المواطنة الشريفة.

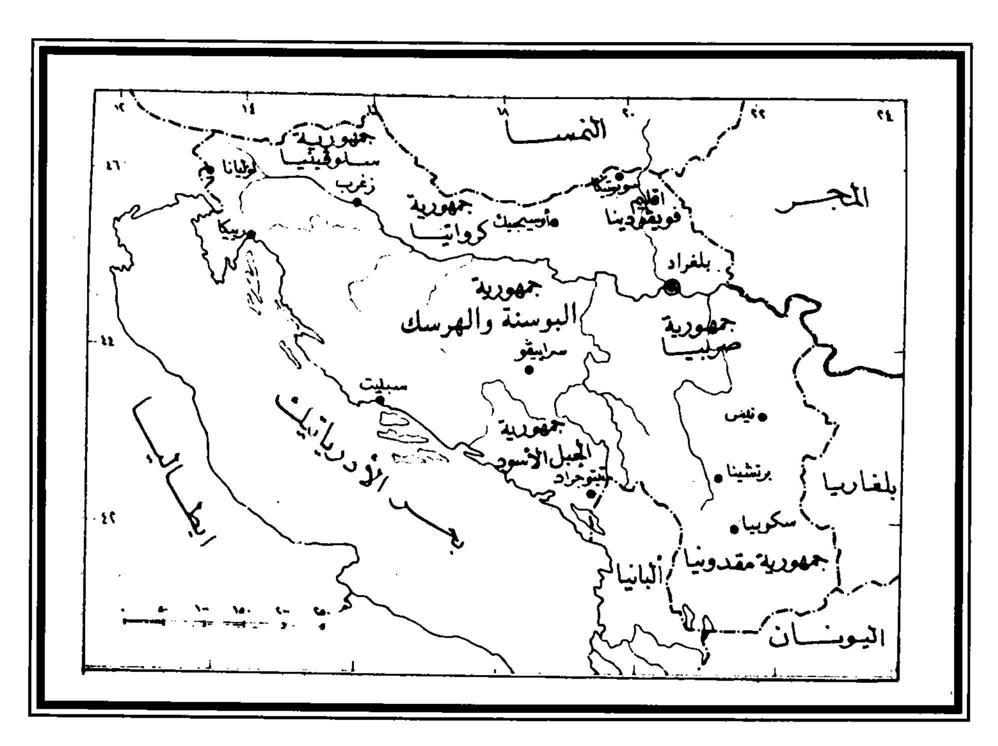
لذلك رأيت نشر هذه المذكرات التي تتضمن ذكريات من يوغسلافيا خلال زيارة قمت بها إليها وإلى عدد من أقطار أوروبا الشرقية على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي، بغرض الإطلاع على أحوال المسلمين فيها، والعمل في ضوء ذلك على مساعدتهم في أمور دينهم، مثلما هو عليه الحال في أكثر رحلاتي وزياراتي لأقطار العالم. والله الموفق.

مكة المكرمة

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

نذكر هنا ملخصاً للأوضاع السائدة في يوغسلافيا عند زيارتنا لها في عام ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م من الناحية السياسية ومن الناحية الدينية بالنسبة للمسلمين.



خريطة يوغسلافيا

تقع يوغسلافيا في جنوب شرق أوروبا وتبلغ مساحتها ٢٥٥,٨٠٤ كم٢ وسكانها ٢٢,٥٩٩,٠٠٠ نسمة حسب احصاء عام ١٩٨١ وتتكون جمهورية يوغسلافيا الاتحادية الاشتراكية من الجمهوريات والأقاليم الآتية :

١ – جمهورية صربيا وعاصمتها بلغراد .

٢ – جمهورية كرواتيا وعاصمتها زغرب .

٣ – جمهورية البوسنة والهرسك وعاصمتها سرايفو .

٤ – جمهورية مقدونيا وعاصمتها سكوبيه .

٥ – جمهورية سلوفينيا وعاصمتها ليوبليانا .

٦ – جمهورية الجبل الأسود وعاصمتها تيتو غراد .

٧ – إقليم كوسوفا المتمتع بالحكم الذاتي وعاصمته بريشتينا في جمهورية صربيا .

٨ – إقليم فوجفودنيا التمتع بالحكم الذاتي وعاصمته نوفي ساد في جمهورية صربيا .

يوغسلافيا أرض جبلية في جملتها ، حيث تغطي الجبال ثلاثة ارباعها وخاصة في غربها حيث توجد جبال الألب وترتفع أعلى قمة فيها قمة تريجلاف إلى ٢٨٦٤م عن سطح البحر وتنتشر السهول في شمالها وشرقها حيث تطل على نهر الدانوب الذي له ٤٠ رافداً في يوغسلافيا كما أن هناك كثيراً من الأنهار الصغيرة مثل درينا وكوبا وتغطي الغابات معظم سفوح الجبال والمرتفعات .

تاريخ دخول الإسلام إلى يوغسلافيا :

مع أن بشائر الإسلام في يوغسلافيا من ارتياد العرب الذي كانت لهم السيطرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط وجزرها إلي يوغسلافيا وكذلك من قدوم قبائل البشناق والبلغار من نهر الفولقا (إيتل) في القرن العاشر الميلادي ، لكن الحكم العثماني الذي بدأ

ينشر سيادته في شبه جزيرة البلقان بعد معركة حرب صندى عام ١٣٦٤م أدى إلى توطيد دعائم الدين الإسلامي في يوغسلافيا، وكان لأثر التسامح الديني والمساواة اللذين رسمهما حكام الدولة العثمانية العامل القوي في انتشار الإسلام بين سكان يوغسلافيا.

بيد أن قوى التعصب الصليبي كانت تعمل على أن تفكك وحدة المسلمين وتتطلع بشراهة إلى اغتصاب ثروات العالم الإسلامي وتدمير كيانه فقامت بدس بذور الفتن والاضطرابات بين شعوب وطوائف شبه جزيرة البلقان كما رافقت هذه التدخلات السياسية هجمات عسكرية لاقتطاع ممالك الدولة العثمانية وتحت هذه الظروف اضطر العثمانيون إلى التنازل عن بلاد البشناق لدولة النمسا والمجر عام ١٨٧٨ بعد أن استقلت عنهم صربيا عام ١٨٣٠م.

وبعد الحرب العالمية الأولى تأسست الدولة اليوغسلافية الأولى، وعانى المسلمون كثيراً من التعذيب والاضطهاد ومصادرة أملاكهم الزراعية عام ١٩١٨، بينما شارك المسلمون مع زملائهم الصرب الارثوذكس في حربهم ضد سيطرة النمساويين الكاثوليكيين، وبعد تخلصهم من الاستعمار النمساوي غدر الأرثوذكس بالمسلمين وساموهم البطش والتنكيل. وقد قاوم المسلمون سياسة الظلم والاستبداد من خلال الحزب الإسلامي اليوغسلافي الذي تأسس عام ١٩١٩ وذلك بزعامة الدكتور محمد سباهو الذي ترأس عدة حكومات يوغسلافية قبيل الحرب العالمية الثانية.

وبعد هزيمة ألمانيا النازية تولى قيادة يوغسلافيا المارشال جوزيف تيتو بمساعدة الأحزاب الشيوعية وبدعم من الاتحاد السوفياتي وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٥ – تأسست جمهورية يوغسلافيا الاتحادية الشعبية برئاسة جوزيف تيتو وطبقت النظم الشيوعية ومبادئ الإلحاد على المسلمين، وقتل من المسلمين ٢٤ ألف شخص وأعدم كثير من الزعماء والشخصيات الإسلامية وأغلقت المساجد والمدارس ومنع التعليم الديني وتداول الكتب والمؤلفات الإسلامية واضطر كثير من المسلمين إلى الهجرة إلى تركيا وأوربا،

كما نظم المسلمون في بعض الجمهوريات جبهات شعبية لمقاومة ظلم الشيوعيين وسياسة الإلحاد.

ثم رغب جوزيف تيتو الاستقلال في السياسة عن الاتحاد السوفياتي وممارسة سياسة متميزة تتصف بالاعتدال الشيوعي ورفض الانصياع لتوجيهات الحزب الشيوعي السوفياتي فطرد من الكومنفورم في ٢٨ يوليه ١٩٤٨م. ولكن الاعتراف بحق يوغسلافيا في مواصلة طريقها الخاص نحو الاشتراكية وقعه نكيتيا خروشوف في ٢٧ مايو ١٩٥٥م في بلغراد.

وعندما حاول الحكم اليوغسلافي كسب الرأي العام العالمي وتأييده لإنشاء كتلة عدم الانحياز التي عقدت مؤتمرها الأول في سبتمبر عام ١٩٦١ خف الاضطهاد الشيوعي عن المسلمين تدريجياً، وشعر المسلمون بنوع من التسامح الديني الذي مكنهم من الاستمرار في ممارسة شعائرهم الدينية بحرية أكثر مما هو في كثير من البلدان الشيوعية المجاورة.

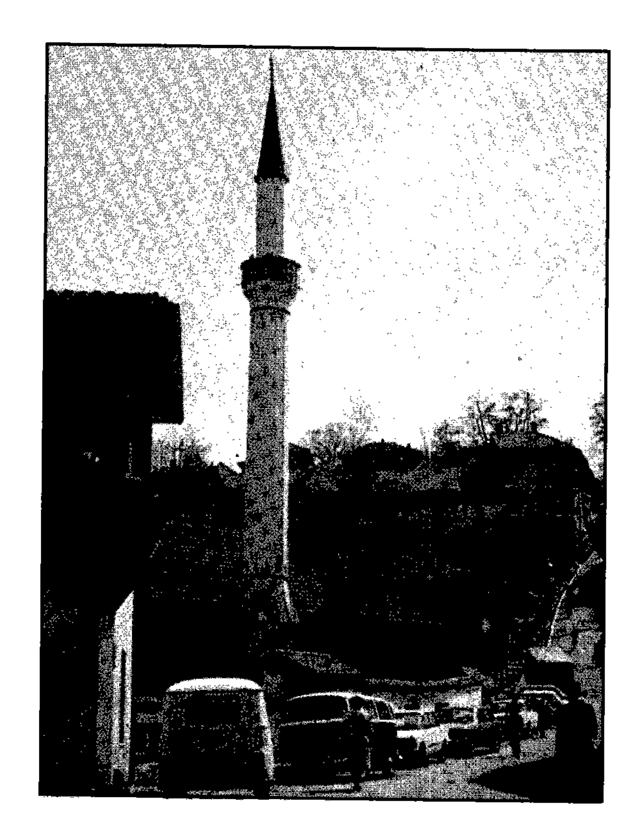
مناطق المسلمين وعددهم في يوغسلافيا:

يبلغ عدد المسلمين ٤,٥١٩,٨٠٠ نسمة ويشكلون نسبة ٢٠٪ من جملة السكان مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الاحصائية تقريبية إذ لا توجد في يوغسلافيا إحصائية دينية رسمية.

وينتمي المسلمون إلى معظم القوميات المتواجدة في يوغسلافيا بنسب متفاوتة وينتشرون في كل أنحاء البلاد مع تمركز كثيف في المناطق الجنوبية والغربية وأكثر القوميات عدداً حسب التصنيف الرسمي هي:

١ - المسلمون   ٢ - الألبانيون   ٣ - الأتراك.

ويلاحظ أن الحكومة التي صنفت المسلمين قومية مستقلة بناء على ديانتهم الإسلامية استبعدت من التصنيف ذاته المسلمين الألبانيين والأتراك واعتبرتهما قوميتين مستقلتين.



حي إسلامي أثري في يوغسلافيا

ويقصد بالقومية الإسلامية أولئك المسلمون الذين ينحدرون من أصول كرواتية وصربية ويتكلمون اللغة الصربو كرواتية، ويختلفون بدينهم الإسلامي عن الأرثوذكس الصربيين والكاثوليك الكرواتيين الذين يشتركون معهم في اللغة ولا يعني هذا أن جميع أفراد القومية الإسلامية هم من أصول كرواتية وصربية، بل تضم أيضاً البشناق وغيرهم من الأتراك القادمين من منطقة نهر الفولقا الذين يتكلمون اللغة الصربو كرواتية بعد أن تلاشت لغتهم التركية بالاندماج. كما أن هناك مسلمين من الأقلية السلافية التي أسلمت أثناء الحكم العثماني.

ويكثر المسلمون الصربو - كرواتيون الذين يطلقون على أنفسهم اسم البوسنويين في جمهورية البوسنة والهرسك وتبلغ نسبتهم ٤٢٪ من جملة سكان هذه الجمهورية وهي أعلى نسبة من القوميتين الأخريين اللتين تقطنان هذه الجمهورية وهما قومية الصرب التي

تعتنق الأرثوذكسية اليونانية التي تبلغ نسبتها ٣٣٪ والقومية الكرواتية التي تعتنق الكاثوليكية الرومانية وتصل نسبتها ٢٠٪ من سكان الجمهورية.

ومع اعتراف الجميع بالأغلبية الإسلامية في جمهورية البوسنة والهرسك، إلا أن الصربيين ينالون معاملة أفضل ويلقون محاباة أكثر من الحكومتين المحلية والمركزية.

ويشغل المسلمون ٥٪ من وظائف الدولة فقط. وعادة لاتعطي للمسلمين إلا المراكز الإدارية التافهة ويتولى الصربيون زمام الأمور والسيادة وحتى أولئك المسلمون الذين يرضون بتلك الوظائف الثانوية يستبعدون من مراكزهم إذا بدرت منهم ممارسة الشعائر الإسلامية، ومع عملية استبعاد المسلمين من الوظائف الإدارية وتزايد السلطة الصربية الأرثوذكسية تزايد عدد العاطلين المسلمين عن العمل وتضررت أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية وأثار ذلك في المسلمين المطالبة بهوية إسلامية كاملة لجمهورية البوسنة والهرسك. وتجديد الدعوة بالاستقلال كما حدث أن ذهب عدد من زعمائهم إلى الأمم المتحدة للمطالبة بإنشاء دولة كرواتية مستقلة في السبعينات من هذا القرن.

وحسب الاحصائية الرسمية لعام ١٩٨١ بلغ عدد الألبانيين ١,٨٠٧,٩٢٠ نسمة في يوغسلافيا وتبلغ نسبتهم ٨٪ من جملة سكان يوغسلافيا ويتمركز أكثرية الألبانيين في إقليم كوسوفا المتمتع بالحكم الذاتي حيث يصل عددهم ١,٢٣٠,٠٠٠ نسمة وذلك بنسبة ٧٧,٧٪ من جملة سكان الإقليم وفي جمهورية مقدونيا يوجد مسلمون ألبان بنسبة ٣٥٪ من إجمالي سكانها وفي جمهورية الجبل الأسود يوجد ١٥٠ ألف الباني ويقول الألبانيون بأن عددهم حوالي ٢,٥ مليون نسمة في يوغسلافيا وأنهم يشكلون نصف مجموع مسلمي يوغسلافيا حالياً.

وسيطرة الصربيين وهم أقلية في إقليم كوسوفا الألباني على مقاليد الحكم وتسلطهم على المرافق الاقتصادية والتجارية فيه أدت إلى زيادة بطالة العمال الألبانيين التي وصلت نسبتها إلى ٤٠٪ وكذلك أدت إلى تدهور الحياة المعيشية وارتفاع التضخم إلى نسبة ٥٥٪ مع أن الإقليم من أخصب المناطق اليوغسلافية وأغناها بالثروة المعدنية ومن أوائل

صادراته المعدنية الذهب الخام والبترول.

وهذا التسلط الصربي والظروف الاقتصادية التي جعلت إقليم كوسوفا من أفقر المناطق ليس في يوغسلافيا فحسب بل في أوروبا كلها دفعت المسلمين إلى المطالبة باستقلال الإقليم أو إعلانه جمهورية ألبانية يوغسلافية ضمن الاتحاد الفيدرالي اليوغسلافي.

أما المسلمون الأتراك الذين يصل عددهم إلى ٢٣٥٩٩٠ نسمة في جمهورية مقدونيا مع إخوانهم الغجر المسلمين فإن الضغوط السياسية والاقتصادية والاجتماعية لازالت شديدة عليهم ولاتزال دوائرالهجرة في تركيا تسجل انتقال الأتراك المسلمين إلى تركيا، وهم يتعاطفون مع الحركات الإسلامية عموماً في يوغسلافيا وسيكون لانضمامهم إلى إحدى الحركات الإسلامية في يوغسلافيا أثر كبير في زيادة الانتفاضة الإسلامية وقوتها.

المؤسسات الإسلامية في يوغسلافيا :

المشيخة الإسلامية العليا في بلغراد هي أعلى سلطة إسلامية في يوغسلافيا تقوم بتمثيل المسلمين خارج يوغسلافيا وأمام السلطات الاتحادية وتشرف على جميع النشاطات الإسلامية التي تزاولها المشيخات الإسلامية الإقليمية وتتولى التوجيه والتنسيق في أعمالها ومهامها. ويرأس هذه المشيخة رئيس العلماء ويعتبر هذا المنصب أهم منصب إسلامي في يوغسلافيا ويتولاه الآن الشيخ نعيم حاجي عبديتش وأما المشيخات الإسلامية الإقليمية فهي :

(١) المشيخة الإسلامية لجمهوريات البوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا ومركزها في سراييفو.

(٢) المشيخة الإسلامية لجمهورية صربيا ومقرها بريشتينا.

(٣) المشيخة الإسلامية لجمهورية مقدونيا ومقرها سكوبيه.

(٤) المشيخة الإسلامية لجمهورية الجبل الأسود ومركزها تيتوغراد.

وبالإضافة إلى هذه المشيخات هناك ١٦٦ مجلساً محلياً يرتبط بالمجالس الإسلامية النيابية الأربعة التي تشرف على المشيخات الإسلامية الإقليمية الأربعة وهناك مجلس إسلامي نيابي اتحادي في بلغراد.

خلال الحكم العثماني كان في ولايات البوسنة والهرسك ومقدونيا والصرب والجبل الأسود ٣٥٠٠٠ مسجد. و١٥٠٠مدرسة و٤٠٠ رباط لفقراء المسلمين وأراملهم، أما اليوم فيوجد في يوغسلافيا ٢١٨٦ مسجداً و٦١٠ جوامع و٣٦٠ مركزاً إسلامياً.

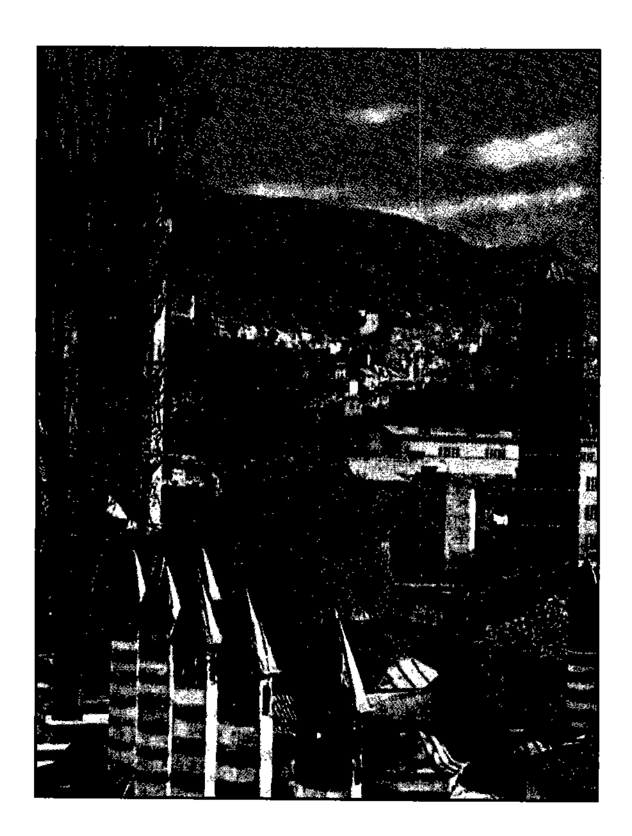
ومن أهم المؤسسات الإسلامية العاملة في يوغسلافيا:

(١) الكلية الإسلامية في سراييفو التي افتتحها معالي الشيخ محمد على الحركان الأمين العام السابق لرابطة العالم الإسلامي رحمه اللّه في ٢٩ سبتمبر عام ١٩٧٧م وقد أسهمت المملكة العربية السعودية في إنشاءها بمبلغ ٢٥٠ ألف دولار أمريكي عام ١٣٩٤هـ.

والدراسة في هذه الكلية تستغرق أربعة أعوام ويأمل المسئولون بالكلية أن تعادل شهادتها بشهادات الجامعات الإسلامية المشهورة مثل جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

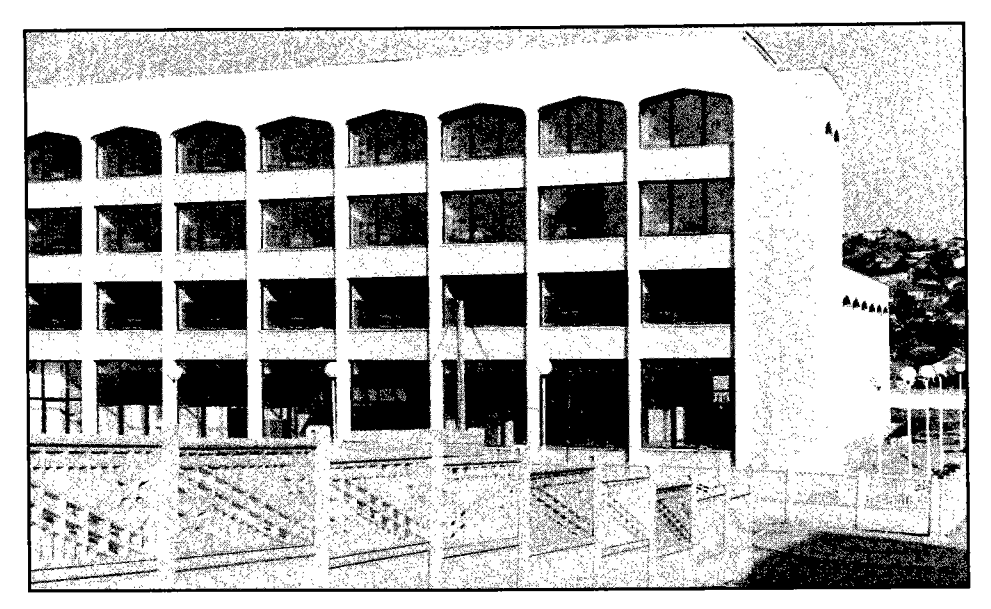
(٢) معهدا غازي خسروبك الإسلاميين للبنين والبنات بسراييفو، ويعتبر المعهدان من أهم المراكز الإسلامية للتعليم الإسلامي في يوغسلافيا وقد أنشئ المعهد الإسلامي للبنين عام ١٥٣١م أما المعهد الإسلامي للبنات فقد افتتح عام ١٩٧٨م وكلا المعهدين يعمل على تخريج الأئمة والدعاة، وتقوم الدراسة على العلوم الإسلامية والعلوم العنصرية التي تساعد الطالب لفهم الإسلام من جميع نواحيه وإعداده إعداداً كاملاً لفهم أحكام الإسلام وثقافته بالإضافة إلى تزويده بالمعارف العصرية الفنية. وتستغرق الدراسة نحو خمس سنوات ويستطيع المتخرج تولى إحدى

الوظائف الإسلامية في يوغسلافيا أو الالتحاق بإحدى الجامعات الإسلامية أو اليوغسلافية.



منظر لمعهد خسروبيك

(٣) معهد علاء الدين الإسلامي في بريشتينا تأسس عام ١٩٥١م كمدرسة داخلية لطلاب المرحلة المتوسطة ثم تحولت إلى مدرسة ثانوية تتم الدراسة فيها على نمط المعهد الإسلامي في سراييفو ولكن باللغة الألبانية وهي لغة مسلمي إقليم كوسوفا الألباني ومع تزايد الطلاب بدأ الاهتمام بتوسعة هذا المعهد وإنشاء فصول دراسية ومبان سكنية للمغتربين وقد بدأت رسميًا أعمال إنشاء المبنى الجديد للمعهد بتاريخ ٢٧ آب سنة ١٩٧٩م وتعثر العمل فيه نتيجة ارتفاع أسعار المواد الإنشائية وقلة الموارد.



المبنى الجديد لمعهد علاء الدين في بريشتينا

(٤) جامع خسروبك في سراييفو ويحتل المكانة الأولى من بين المباني المعمارية التذكارية الكثيرة في جمهورية البوسنة والهرسك والمناطق الشرقية من يوغسلافيا ويرجع تاريخ بنائه إلى عام ٩٣٧هـ/١٥٣٠م.



مقدمة جامع خسروبيك في سراييفو

وقد تأثر الجامع من بعض الزلازل التي حدثت في المنطقة فأصاب بعض أجزائه التصدع والشقوق وتتخذ المشيخة الإسلامية في سرايفو الاجراءات والدراسات اللازمة لترميمه وإصلاحه وقد تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ ٢,٥٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي لهذا الغرض.

النشاط الثقافي الإسلامي في يوغسلافيا :

تصدر المشيخات الإسلامية في يوغسلافيا اليوم عدداً من الصحف الإسلامية مثل (البعث الإسلامي) و(الفكر الإسلامي) و (البلاغ الإسلامي) و (زمزم) و (الثقافة الإسلامية) كما تقوم بنشاط واسع في نشر المصحف الكريم والكتب الإسلامية المختلفة باللغات المحلية في يوغسلافيا.

الوضع الإسلامي في يوغسلافيا المعاصرة :

وضع المسلمين في يوغسلافيا يختلف عن غيرها من الدول الشيوعية إذ يجد العمل الإسلامي فرصة للممارسة ولكن بحرية نسبية ونطاق محدود فالسلطات الشيوعية تتغاضى عن تأدية العبادات الشخصية وتشرف على النشاط الإسلامي من خلال جمعية العلماء والمشيخات الإسلامية التي تتولى جميع الأعمال الإسلامية ولا يتم أي اتصال لمسلمي يوغسلافيا مع إخوانهم المسلمين في العالم إلا من خلال هاتين المنظمتين ولايمكن قبول أي دعم مادي أو معنوي إلا من خلالهما. ويترأس هذه المشيخات وجمعية العلماء الشخصيات الإسلامية التي تحظى بثقة الحكومة وتطمئن إليهم في تنفيذ أحكامها ومآربها، وتتحكم في نشاطات المسلمين الدينية بطريق غير مباشر بواسطة الشخصيات الإسلامية أنفسهم، ويمكن تفصيل الوضع الإسلامي الحاضر كالآتي :

أولاً : أن الحزب الشيوعي اليوغسلافي بزعامة المارشال جوزيف بروز تيتو لم يكن يترك قتل المسلمين ومصادرة أوقافهم الإسلامية وأملاكهم وإغلاق المساجد والمدارس الإسلامية وإتلاف الكتب الدينية تلك السياسة التي بدأها في أوائل حكمه الشيوعي إلى سياسة تخفيف الضغط والاضطهاد عن المسلمين إلا لمكاسب سياسية محلية ودولية.

فالانفصال عن الحركة الشيوعية العالمية وعن سيطرة الاتحاد السوفياتي كان يتطلب تماسكًا محليًا لقطع الطريق أمام التدخلات السوفياتية لإثارة القلاقل والاضطرابات وإرغامه على العودة إلى الحظيرة السوفياتية مثلما حدث في المجر وتشيكوسلوفاكيا.

وكان يتطلع أيضًا إلى أن يدعم مركزه دوليًا بحركة سياسية جديدة، فتزعم مع الرئيسين جواهر لال نهرو زعيم الهند وجمال عبدالناصر الرئيس المصري حركة دول عدم الانحياز في عام ١٩٦١م.. وما كانت هذه الحركة لتنجح وهو يضطهد المسلمين ويكتم أنفاسهم ويحارب الدين لذلك عمد إلى تخفيف الاضطهاد وانتهاج سياسة التسامح الديني في سبيل كسب تعاطف الزعماء من العرب والمسلمين في حركة دول عدم الانحياز لأفكاره وآرائه.

وقد استفاد المسلمون من هذه الفرصة التي اضطر تيتو إلى إيجادها في تحسين أوضاعهم وتنشيط حركاتهم الإسلامية بفضل ما يحوله العمال اليوغسلاف المهاجرون في أوروبا من أموال ومايجود به المقيمون مع قلة مواردهم من تبرعات للإنفاق على متطلبات العمل الإسلامي من بناء المساجد والمدارس واحتياجاتها ودفع رواتب الأئمة والمدرسين.

وكذلك بعث المسلمون أبناءهم إلى البلدان الإسلامية لمزيد من المعرفة الدينية والثقافة الإسلامية لبناء أجيالهم اللاحقة، وقد ساعدهم على ذلك أن الحكومة أجازت لهم ولغيرهم العمل في بعض الدول الأوروبية.

ثانيًا: رغم إتاحة فرصة لممارسة العبادات الفردية والحرية الدينية المحدودة فإن المسلمين يعانون من السلطات الشيوعية اضطهادات مختلفة في حياتهم اليومية خارج المسجد، وخاصة فيما يتصل بالسلوك والتقاليد الإسلامية مثل الختان وتشجيع الزواج بين المسلمات والمسيحيين، وإلزام أطفال المسلمين على أكل لحم الجنزير في مدارس الدولة وكثافة البرامج والتعليم الشيوعي في المؤسسات التعليمية في البلاد... وأخيرًا

إجبار الفتيات المسلمات على الانخراط في السلك العسكري ونقلهن مع الجنود إلى المعسكرات التدريبية المختلطة في سبيل إذابة الشخصية الإسلامية وصهرها في الإناء الشيوعي المتسلط .

كما مارست الحكومة اليوغسلافية الضغوط الاقتصادية في محاربة المسلمين مثل مصادرة أملاك المسلمين وحرمان الذين يتمسكون بالأمور الإسلامية من أعمالهم ووظائفهم والحيلولة دون ترقيتهم مما أدى إلى تفشي البطالة في المناطق الإسلامية فوصلت نسبة بطالة العمال الألبانيين إلى ٤٠٪ وبلغت نسبة ارتفاع التضخم إلى ٥٥٪ وتركت الحكومة المركزية الأقاليم الإسلامية بدون مشاريع تنموية ، رغم استغلال ثرواتها ومواردها الاقتصادية مما دفع المسلمين إلى ترديد القول «كوسوفا يعمل وبلغراد تستفيد» .

ثالثًا : مارست الحكومة الشيوعية ضغوطًا سياسية على المسلمين وحرمتهم من مراكز القيادة حتى في المناطق التي يشكلون الأكثرية السكانية فيها وتسلط عليهم الصربيون الأرثوذكس في جميع المراكز الإدارية والاقتصادية وأصبحت فرص الحرية الذاتية للمسلمين مفقودة خاصة في جمهورية البوسنة والهرسك حيث يكون المسلمون أكثرية قومية بنسبة ٤٠٪ وفي إقليم كوسوفا المتمتع بالحكم الذاتي نسبة ٧٧,٥٪ من سكانه . دفعت هذه الضغوط السياسية المسلمين للمطالبة بحقوقهم السياسية المسلوبة وأخذ مقاليد السلطة في أيديهم كما حدث في جمهورية البوسنة والهرسك في أبريل عام ١٩٨٣ وفي إقليم كوسوفا عام ١٩٨٤ .

رابعًا : بعد وفاة المارشال جوزيف بروز تيتو عام ١٩٨٠ وافتقار خلفائه إلى دهائه السياسي أخذ زعماء الحزب الشيوعي يختصمون علانية مع رجال الدين ويتهمونهم بالتآمر على الدولة والقيام بنشاطات مضادة للثورة ورأت القيادة الشيوعية الحديثة كبح زمام الحرية الدينية المحدودة التي منحت في عهد زعيمها الراحل إحساسًا بأن حرية الممارسات الدينية تضر بمصالح الحزب الشيوعي وقد كتبت مجلة (مدرستنا اليوغسلافية

NASA SKOLA) في عددها الصادر برقم ٨٠٧ في عام ١٩٨٢ – تقول: بالرغم من منع المؤسسات الدينية من فتح المدارس وإلزامها بتقديم التعاليم الدينية لجماعاتها. لكن النشاطات التي تزاولها هذه المؤسسات في بعض المناطق تشكل ظاهرة خطيرة، حيث يصعب تمييز نشاطها عن التعليم العام بجميع شكلياته، لذا يجب محاربة الذين يستغلون الشعائر الدينية في نشاطات دنيوية ويؤثرون على الشباب كما يلزم معاقبة الأفراد والمدارس التي تستخدم دور المدرسة في الدعاية الدينية.

أما جريدة أخبار المساء VECENJE NOVOSTIS الصادرة في بلغراد بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٨٢ فقد نشرت تقول إن رجالاً من الأديان الثلاثة (الإسلام – والأرثوذكس والكاثوليك) يزاولون نشاطات قومية باسم الشعائر الدينية. . ولاشك أن هؤلاء بنشاطاتهم يسيئون إلى شعوبهم.

وهذه الأحاديث تشير إلى أن القيادات اليوغسلافية الجديدة لها وجهة نظر خاصة حيال الدين ولن تكون في صالح المسلمين، إذ تعزو أسباب المشاكل الاقتصادية والسياسية التي تعاني منها يوغسلافيا اليوم إلى الخروج عن الخط العقائدي والسياسي للحزب الشيوعي.

ويطالب بعض المتطرفين بتطهير شامل يتم فيه عزل المعتدلين والوطنيين ورجال الدين، أما لوكا ماركو فيج المنظر الاشتراكي اليوغسلافي فيطالب بتغييرات جذرية في النظام الاقتصادي وبرنامج رابطة الشيوعيين اليوغسلاف لأن هذه الرابطة أصبحت برجوازية التكوين وغير قادرة على توحيد كوادر الشيوعيين الشباب.

ويعترض الآخرون على هذا الرأي وينادون بالعودة إلى المبادئ الأساسية لبرنامج الرابطة، وكذلك ترى جماعة أخرى تطوير برنامج رابطة الشيوعيين اليوغسلاف وذلك بمنع تدخل الحكومة في الاتجاهات الاجتماعية لكي تزدهر من ذاتيتها وتثبت جدواها.

وهكذا فإن الصراع الفكري والعقائدي بين الزعماء اليوغسلافيين الجدد يعكس

نظرات بعضهم المتشددة نحو الدين الذي يقولون: إنه يهدد الدولة ورابطة الشيوعيين اليوغسلاف وهي الحزب الشيوعي الحاكم، وقد توجهت ضربتهم إلى المسلمين لإرهابهم والحد من نشاطهم الديني، حتى إن مجلة البعث الإسلامي التي تصدرها جمعية العلماء في سراييفو قد أوقف صدورها مما يؤكد أن الضربة شملت حتى المؤسسات الإسلامية كما حدت الحكومة من خروج المسلمين لأداء فريضة الحج بفرض ضريبة مالية قدرها ألف وخمسمائة دولار على الفرد، ولم يصل من الحجاج اليوغسلافيين إلى الأراضي المقدسة أحد في حج عام ١٤٠٤هـ.

قضيـة قصـوف

قضيـة (قوصوف) أو (كسوفـو) وبعضهم يقول (كـوسوفا) هي أهم القضايـا بالنسبة للمسلمين في يوغسلافيـا في الوقت الحاضـر، ولابد لمن يريد أن يفـهم وضع المسلمين فيهـا من الإطلاع على ملابسـات هذه القـضيـة والخلفيـات التـاريخيـة لها التي تظهـر أن الصـرب بتـعـصـبـهم المقـيت ينكرون عـلى سكان (قـوصـوف) من المسلمين الألـبـان الاستـقلال، بل حتى ينكرون عليـهم حتى الحكم المحلي، بينمـا يطالبون هم بذلك الحق للصـرب الـذين يقطنون في جـمـهـورية (الخـروات) كـرواتـيـا، وجـمـهـورية الـبـوسنة والهرسك.

وقـد أعد زمـيلنا الأسـتـاذ (رحمـة الله بن عناية اللـه) سكرتير وفـدنا إلى يوغـسـلافيـا وغيـرها من الدول الأوروبيـة الشرقـية في هذه المرحلة دراسـة متكاملة في هذا المـوضوع نثبتها هنا للإستفادة منها وله الشكر.

المسلمون في يوغسلافيا
وذكرى معركة كوسوفا عام ١٣٨٩م

إن أولئك المسلمين في كوسوفا الذين تصدرت أحداثهم الصحف والمجلات في الآونة الأخيرة لهم مشاكل ومعاناة واحدة هو إبعادهم عن دينهم الإسلامي وسلخ كيانهم القومي والوطني. فالصرب يهدفون إلى إحكام سيطرتهم على إقليم كوسوفا وتسخير المسلمين لأعمالهم واستغلال ثروات كوسوفا بدون منازع أو مشارك.

وشرحا لما سبق ولإيضاح أسباب الاضطرابات التي حدثت في إقليم كوسوفا بيوغسلافيا يتطلب الأمر مروراً سريعًا على تاريخ دولة يوغسلافيا التي ظهرت على إثر هزيمة امبراطورية النمسا - المجرية في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨. وقد افتقدت مملكة يوغسلافيا (١٩١٨ - ١٩٤١) الاستقرار حيث عانى المسلمون من تحالف الأسرة المالكة كاراجورجفيتش والكنيسة الأرثوذكسية الصربية ضدهم. واضطر المسلمون إلى الهجرة إلى تركيا حتى بلغ عدد المهاجرين أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة، ولكن الحزب الإسلامي الذي أسسه الدكتور محمد سباهو عام١٩١٩ تمكن من تخفيف حدة الاضطهاد بعد عام ١٩٢٩ وتضاءلت هجرة المسلمين خاصة خلال ترأسه عدة حكومات في يوغسلافيا.

وخلال الحرب العالمية الثانية تعرضت يوغسلافيا لغزو ألماني وإيطالي وبعد هزيمة ألمانيا النازية تولى قيادة يوغسلافيا المارشال جوزيف تتيو بمساعدة من الأحزاب الشيوعية، ودعم من الاتحاد السوفياتي وبتأييد من بريطانيا في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٥ ثم أصبحت يوغسلافيا جمهورية إتحادية شعبية في ٣١ يناير ١٩٤٦.

بعد أن أخذ تيتو بزمام الحكم في يده قلب ظهر المجن لمواطنيه المسلمين وبدأ بتطبيق النظم الشيوعية ومبادئ الإلحاد عليهم وأعدم زعماءهم وأئمتهم وقتل الآلاف منهم

وتعرضت المساجد والمدارس والأوقاف إلى الإغلاق والمصادرة وعانى المسلمون كل صنوف الظلم والتعسف واضطر المسلمون على الهجرة إلى تركيا وأوزبا ونظمت الجماعات الإسلامية حركات للمقاومة والدفاع وحماية النفس والمقدسات.

ولما شعر المارشال جوزيب بروز تيتو ما جره إليه إنتهاجه لأسلوب الاتحاد السوفياتي في تطبيق النظام الشيوعي من اضطرابات داخلية وعزلة اقتصادية وسياسية قام بحركة جريئة للانفصال عن السيطرة السوفياتية وممارسة سياسة متميزة تتصف بالاعتدال الشيوعي ورفض الانصياع لأوامر الحزب الشيوعي السوفياتي.

واقتضت هذه الحركة أن ينتهج المارشال جوزيب بروز تيتو سياسة جديدة في الداخل والخارج حتى يعزز موقفه ويقطع الطريق على الضغوط الروسية لإرغامه على العودة إلى الحظيرة السوفياتية. فعلى الصعيد الدولي تزعم مع الرئيسين جواهر لال نهرو زعيم الهند وجمال عبدالناصر المصري حركة دول عدم الانحياز. وأما في الصعيد الوطني فقد انتهج سياسة مرنة عرفت بما يلي:

(١) بالتسامح الديني المحدود وتخفيف الاضطهاد القسرى، فتحت دور العبادة لاتباع مختلف الأديان ومارس المسلمون وغيرهم الشعائر الدينية الفردية وجعلت جميع السلطات الدينية تحت إشراف هيئات دينية ترتبط بالأجهزة الحكومية. واقتصر التعليم الديني في معاهد رئيسية خاصة مع حظر تلقينه في برامج التعليم العام.

(٢) بالانفتاح الاقتصادي وإيجاد رؤوس الأموال المحدودة في الاستثمار والزراعة وتصدير الأيدي العاملة وتشجيع السياحة والتجارة الخارجية وغدت يوغسلافيا الدولة الشيوعية الرائدة في هذا الميدان.

(٣) بالتوازن القومي وإرضاء مختلف القوميات من خلال تطبيق النظام السوفياتي في إيجاد وحدات إدارية سياسية لكل قومية تجتمع قيادتها حول الرئيس اليوغسلافي.
وكانت يوغسلافيا كما قال عنها الزعيم الهندي جواهر لال نهرو:

«إن يوغسلافيا هي بلد الست جمهوريات. وهي بلد الخمس القوميات: السلوفين،

الكروات، الصـرب، المقـدونيـون، والمونتـيقـرون. وبلـد الأربع لغـات: السلوفـيـة والصـربيـة، الكرواتيـة، المقـدونيـة. وبلد الثلاثـة أديان: الأرثوذكـسيـة والكاثوليكيـة والإسـلام. وبلد الأبجـديتـين: اللاتينيـة والسـيريليـة. . ولكـنهـا بلد الإدارة الواحـدة: الاستقلال».

وفي عام ١٩٧٤ عمـد جوزيف تيتو إلى إدخـال تغييرات جذريـة في الدستور وضع بموجبهـا الإطار الجديد لخـارطة يوغسـلافيـا حيث أصبحت تتـألف من ثمانـي وحدات فيدرالية ست منها الجمهوريات التي سبق ذكرها واثنان منها إقليما كـوسوفا وفويفودينا المتمتعين بالحكم الذاتي ضمن إطار جمهورية صربيا.

وعـمل المارشـال جوزيف بروز تيـتـو وهو من الكروات على تحـويل جـمـيع شعـوب وقوميات البلاد إلى يوغسلاف حيث قال في احتفـال جمعية الصحفيين اليوغسلاف عام ١٩٦٣: إذا أردنا أن نوجد حـضارة اشتـراكية لابد أن يكون لنـا برنامج عام ويجب أن يكون ذلك البرنامـج يوغسلافـيا ولن ندع أي جمـهورية أو قومـية تنمي ثقافـة اشتراكـية ذاتية لان في ذلك الانفصال.

وانطلاقًا من هذه النظرية أطلق تيتـو شعاره «قوة يوغسـلافيا في ضعف الصـرب» فقد أدرك تيتو بأن صهـر القوميات كلها في بوتقة يوغسـلافيا الاشتراكية سيؤدي إلى إذابتها جميعًا في الأغلبية الصربية، وقد يسـتغرق وقتًا طويلاً ولكن يحقق الاستقرار الوطني في حين أن تسلط الصرب وتزايد سطوتهم سيعجل الانهيار والتمزق.

وأكد تيتو هذه النظرية عندما قال في عام ١٩٦٧ : معنى أن تكون يوغسلافيًا هو أن تكون عـضواً في جـماعتنـا الاشتراكـية وليس مـعناه أن تكون قـوميًا. وقد نجـحـت هذه النظرية في حـفظ التوازن القـومي بحنكة ودهاء المارشال جـوزيف بروز تيتـو الذي كان يستطيـع بكلمة واحدة أن يحل أي أزمـة في يوغسـلافيا، وكـان وجود تيتـو المؤثر يمنع الصراعـات القومية أن تبـرز على السطح. ولكن الوحدة الوطنيـة التي عاشتهـا البلاد في عهد تيتو لم تكن سوى وهـم صنعه تيتـو شخصيًا حيث يبدو واضحًا أن الرئيس جوزيف

تيتو نجح بنفسه في كبت صراع القوميات ولكن لم يفلح على حلها، ولما مات في ٤ مايو ١٩٨٠ افتقد خلفاؤه دهاء وحنكة رئيسهم الراحل فبدأت الأزمات المكبوتة تنفجر وصراع القوميات يصدع وحدة يوغسلافيا، كأنه بركان خامد عاد فجأة لمزاولة نشاطه.

لقد تميزت السنوات الأخيرة من حكم تيتو بالجمود إلى درجة تأجل معها الابتكار ودفع بخلفائه للاهتمام بالمكاسب السياسية في الصراع المحتدم حول القوة في يوغسلافيا، فسار اقتصاد البلاد بخطى عاجلة نحو الانهيار المخيف ووصلت الديون الخارجية لأكثر من ٣٠ مليار دولار ونسبة البطالة ٣٠٪ والتضخم مرشح لبلوغ ٩٠٠٪ إذا بقيت الأمور سائرة على هذا المنوال.

وتشير احصاءات المراقبين إلى إقفال وإفلاس ما يزيد على الألف مصنع منذ عام ١٩٨٧ حتى الآن، وأطاحت الفضائح المالية المستمرة برؤوس العديد من المسئولين الحكوميين أمثال نائب الرئيس فاضل خوجه.

وهذا الانهيار الاقتصادي المريع ضرب الكيان السياسي الموحد لقوميات يوغسلافيا الذي لايستند إلى جذور تاريخية متأصلة حيث لم تكن يوغسلافيا بلداً موحداً بعد خروج العثمانيين. وأثار أطماع الصرب في الهيمنة والتفوق ودفع الزعيم الصربي المتشدد سلوبودان ميلوسيفيتش للمناداة بشعار (الصرب هم الأقوى وهم الأجدر بحكم يوغسلافيا).

ولاشك أن هذه الأطماع الفاشية لزعماء الصرب في تحويل يوغسلافيا إلى (دولة الصرب الكبرى) انطلاقاً من أن الصرب يشكلون أكثرية سكانية في يوغسلافيا، أثارت مخاوف القوميات الأخرى على كيانها ووجودها، وقد ازداد هذا الخوف فعلاً حين تمكن الصربيون في خريف ١٩٨٨ من إثارة الشارع لإسقاط القيادات المتمسكة بالاستقلال الذاتي حيث أدت المظاهرات في نوفى ساد عاصمة إقليم فويفودينا ثم نقلت إلى تيتوغراد عاصمة جمهورية مونتنيغرويا إلى صعود قيادتين مواليتين لصربيا فيهما

وبهذه الحركة البسيطة أصبحت صربيا تسيطر على نصف يوغسلافيا وقد أدرك السلوفينيون أبعاد هذه اللعبة وشكل الوطنيون والأحرار منهم حزبًا جديدًا باسم التحالف الديمقراطي برئاسة ديمتيري روبل الذي ألقى باللوم على حكومة سلوفينيا الشيوعية لعدم مقاومتها الاتجاهات المركزية الصادرة عن مناطق أخرى في يوغسلافيا ولعدم محافظتها على حقوق الإنسان ضمن سلوفينيا، واشتبه السلوفينيون في أن ضباط الجيش الاتحادي ومعظمهم من الصربيين يعدون للانقضاض على الحكم الذاتي السلوفيني.

ويعتبر ظهور التحالف الديمقراطي الذي ينادى بالديمقراطية والحرية هو نتاج تهيج السلوفان ضد الحكومة الاتحادية والجيش الاتحادي إذ تعد جمهورية سلوفينيا من أكثر جمهوريات يوغسلافيا تطورًا اقتصاديًا وازدهارًا حضاريًا ويخشون أن يؤدي نمو سطوة الصرب أن يهدد كيانهم المتميز وخاصة أن قيادة الصرب حاليًا تضم صربيا ومقدونيا والجبل الأسود وفويفودينا. وإذا حققت انتصارًا في إقليم كوسوفا تكون لها عندئذ الأغلبية مقابل الأقلية في كرواتيا وسلوفينيا وإلى حد ما لدى المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك وأخذت هذه الأقليات الثلاثة تتعاطف مع الألبان سرًا أو علنًا بهدف الصمود ضد الاندفاع الصربي. وما يهمنا في هذه القضايا التي تشتعل في يوغسلافيا هي حالة المسلمين فما هي قصتهم؟

المسلمون في جمهورية البوسنة والهرسك :

في عام ١٩٦٨ اعترفت دولة يوغسلافيا، كما نص عليه الدستور اليوغسلافي الصادر عام ١٩٧٤ بالمسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك كفئة قومية مميزة حالها حال القوميات الأخرى في البلاد التي تتشكل من الصربيين والكرواتيين والمقدونيين والسلوفان وغيرهم. ويقصد بالقومية الإسلامية أو المسلمة في التصنيف الحكومي الرسمي أولئك المسلمون الذين ينحدرون من أصول كرواتية وصربية ويتكلمون اللغة الصربو - كرواتية ولكن يختلفون عن الأكثرية الصربية الأرثوذكسية والكرواتية الكاثوليكية الذين يشتركون معهم في الدم واللغة بالديانة الإسلامية، ولايعني هذا أن

جميع أفراد القومية المسلمة هم من أصول كرواتية وصربية، بل تضم هذه القومية المسلمة أقليات سلافية مستوطنة أسلمت خلال فترة الحكم العثماني وقد قال هيرويه أسلوك Heroje Isluk زعيم الحزب الشيوعي البوسنوي في اجتماع الحزب السنوي عام ١٩٨٢ «الصربيون يحاولون تمييز أنفسهم بالأرذثوذكسية والكرواتيون يميزون أنفسهم بالكاثوليكية أما المسلمون كأقلية أثينية يحاولون اكتساب الهوية الإسلامية».

ومع أن هؤلاء المسلمين الصربو - كرواتيين أو البوسنويين الذين تصنفهم الحكومة بالقومية المسلمة ويسمون أنفسهم بالمسلمين ينتشرون في جمهوريات يوغسلافيا كلها إلا أنهم يشكلون أكثرية عددية في جمهورية البوسنة والهرسك حيث تبلغ نسبتهم ٤٢٪ من جملة سكانها وهى أعلى نسبة من القوميتين الأخريين اللتين تعيشان في هذه الجمهورية وهما قومية الصرب التي تعتنق الأرثوذكسية اليونانية التي تشكل نسبة ٣٣٪ والقومية الكرواتية التي تعتنق الكاثوليكية الرومانية التي تشكل نسبة ٢٠٪.

ومع اعتراف الجميع بالأغلبية الإسلامية في جمهورية البوسنة والهرسك إلا أن الصربيين ينالون معاملة أفضل ويلقون محاباة أكثر من الحكومة المحلية والمركزية أما المسلمون وهم أهل البلاد فيعاملون على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية فهم مثلاً يشكلون ٥٪ من المسئولين الأعضاء في الحكومة الاتحادية و٥,١٪ من القضاة الاتحاديين، ويقل عدد الممثلين المسلمين في مكاتب الحزب الشيوعي عن النصف بينما يزيد الأعضاء الصربيون عن ذلك. وعادة لايعطى للمسلمين المراكز الإدارية المهمة بينما يتولى الصربيون زمام الأمور والسيادة، وحتى أولئك المسلمون الذين يرضون بتلك الوظائف الثانوية يستبعدون من مراكزهم إذا بدرت منهم ممارسة الشعائر الدينية. ومع عملية استبعاد المسلمين من الوظائف الإدارية ونمو السلطة الصربية الأرثوذكسية تزايد عدد العاطلين المسلمين عن العمل وتضررت أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية.

ولايجد المسلمون معاملات عادلة وحقوقاً متساوية ويتعرضون لضغوط ثقافية واجتماعية قاسية. فمثلاً نشرت مجلة بوليتيكا Politika الصادرة في بلغراد في شهر نوفمبر ١٩٨٥ بأن طلاب المدارس المتظاهرين في مدينة سيزانا Sezana في سلوفينيا حملوا

لوحات تنادي : دعونا ننظف سلوفينيا من البوسنويين «يعني من المسلمين» ويطلق الصرب اعتباطًا اسم الترك على مسلمي يوغسلافيا وينادي بعض كتابهم برحيل المسلمين إلى تركيا . وتعمل الأجهزة الثقافية والإعلامية على قطع صلة المسلمين بتراثهم الحضاري الإسلامي . فمثلاً أشعار الغزل الشعبية التي تعرف باسم سودالنينكا Sevdalin-ka التي يعتبرها علماء الغرب من مظاهر الثقافة الإسلامية الأصيلة لمسلمي البوسنة والهرسك التي تغنى بها شعراؤهم المسلمون تقول عنها مجلة سفييت Svijet الأسبوعية في عددها الصادر في نوفمبر ١٩٨٤ بأنها ترجع إلى أصول سلافية .

وفي سراييفو سبق أن عمل سيموتوبولوفاش Simo Topolovac بكل جهده لإقناع الطلاب المسلمين بأن أناشيد كوزله Guzle المسلمة ما هي إلا أغاني متطرفة بينما هي أناشيد تعكس مجد المسلمين وكفاحهم ضد أعداء الوطن ومع أن جميع القوميات الوطنية تملك مثل هذه الأناشيد الوطنية إلا أن المسلمين وحدهم يوصفون بالتطرف .

وجميع المطبوعات الخاصة أو العامة لاتطبع إلا بترخيص من الحزب الشيوعي اليوغسلافي بغرض حماية مشاعر القوميات وثقافة الشعب والتعليم الاشتراكي إلا أن هذا القانون لايحمي مشاعر المسلمين فتظهر الكتب المعادية للمسلمين من أمثال :

(١) السكين Noz للمدعو فوك دراسكوفيتش Vuk Draskovic

(٢) المغتربون Zatocenici للمدعو ميها يلولا لينش Mihailo Lalio

(٣) أبنائنا Metamorphosis للمدعو فوجيسلاف لوباردا Vojislav Lubarda

والواقع أن الصراع بين المسلمين والصربيين الأرثوذكسيين يرجع إلى جذور تاريخية قديمة بدأت في القرن الرابع عشر الميلادي ثم عادت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي عند خروج العثمانيين من المنطقة وتسلط الدولة النمساوية فتحالف الصربيون مع النمساويين في اضطهاد المسلمين وإن كان قد خف بعد ذلك إلا أن الصراع اتخذ شكلاً آخر بعد سيطرة الشيوعيين على البلاد بمساعدة الصربيين وتحالفهم مع الشيوعيين وقد أدت الممارسات اللاإنسانية في الإدارة والحكم والثقافة أيضًا إلى انتفاضة المسلمين

ومطالبتهم بهوية إسلامية لجمهورية البوسنة والهرسك كما حدث في شهر أبريل ١٩٨٣ حيث قامت السلطات في جمهورية البوسنة والهرسك باعتقال ومحاكمة ثلاثة عشر شخصاً يرأسهم الشيخ حسن كرجيج إمام مسجد بلدة ستولاتس في البوسنة وكانت تهمة هؤلاء المسلمين هو أنهم يؤكدون على إسلام البوسنة والهرسك وأن الإسلام في حد ذاته سياسة وثقافة وأخلاق ومع أن الإمام حسن كرجيج أنكر جميع ما ورد في لائحة الاتهام ضده من تحريض أو دعوة لايجاد جمهورية إسلامية في البوسنة إلا أن حركتهم في دعوة المسلمين للالتزام بمبادئ وأحكام الإسلام اعتبرت خطراً يهدد أمن الدولة وسلامتها وصدرت ضدهم أحكام بالسجن لمدد متفاوتة تراوحت بين خمس وخمس عشرة سنة بلغت مجموعها ٩٠ سنة.

ويعيد هذا الحادث ذكرى تشكيل جمهورية كرواتيا المسلمة برئاسة الدكتور محمود كولونوفيتش بموافقة الألمان وحلفائهم الطليان بمساع حميدة من سماحة الشيخ محمد أمين الحسني خلال الحرب العالمية الثانية ثم تربص الشيوعيون بها شراً وبدأت العصابات الشيوعية بقيادة درا جامنجائيلوفيتش بشن حملات لإبادة المسلمين قدر عددهم بحوالي ربع مليون نسمة.

وبعد هزيمة ألمانيا واستيلاء الشيوعيين على سلطة البلاد كانت السلطات البريطانية قد حصلت على وعد من تيتو بمعاملة الجيش الكرواتي المسلم معاملة أسرى حرب طبقاً للقوانين الدولية ولكن تيتو غدر بهم وأعدم الشيوعيون أربعين ألف جندي كرواتي بالقرب من مدينتي بليبورج وماريورج. ولكن هذا لم يفت في عضد المجاهدين المسلمين إذ تألفت جبهة تحرير شعبية برئاسة الجنرال غازي دريفانين اتخذت جبال الألب مركزاً لعملياتها العسكرية وقد حظيت هذه الحركة بتأييد اسبانيا ونقلت مطالبها السياسية ونضال المسلمين إلى الهيئات الإسلامية العالمية واشترك مندوبها الدكتور محمود فيتش في المؤتمر الإسلامي بالقدس وكان للجنة التنفيذية لجبهة تحرير كرواتيا التي يرأسها الجنرال غازي دريفانين والدكتور محمود موفتتك سكرتير عام الرابطة الإسلامية لمسلمي جمهورية كرواتيا المؤقتة في المنفى اتصال برابطة العالم الإسلامي عام

١٣٨٣هـ. ومع أن القوات الشيوعية قضت على حركات المسلمين بحملات إبادة رهيبة عام ١٩٦٤م إلا أن ذلك أدى للاعتراف بالقومية والهوية الإسلامية كشخصية مميزة للمسلمين اليوغسلاف.

إقليم كوسوفا المتمتع بالحكم الذاتي :

قررت اللجنة الأوروبية التي تشكلت بموجب معاهدة لندن عام ١٩١٣ لإنهاء حرب البلقان ضم منطقة شرق ألبانيا إلى مملكة الصرب والكروات والسلوفان ثم قسمت هذه المنطقة بدورها إلى ثلاثة أجزاء، فألحقت اثنتين منها في جمهوريتي مقدونيا ومونتنيغوريا والجزء الثالث الذي سمي باسم إقليم كوسوفا ذي الحكم الذاتي ووضع تحت السيادة الأسمية لجمهورية صربيا.

ويقع إقليم كوسوفا ذو الحكم الذاتي في القسم الجنوبي الغربي من جمهورية صربيا وتبلغ مساحته ١٠٨٨٧ كم٢ بما يعادل ١٢,٣٪ من أراضي جمهورية صربيا. ويعتبر الإقليم من أخصب مناطق يوغسلافيا وأغناها بالثروة المعدنية ومن أوائل صادراته المعدنية الذهب الخام والفحم والنيكل والرصاص والزنك الذي يبلغ احتياطيه ٤٥٪ من احتياط يوغسلافيا. وتزيد مساحة الأراضي الزراعية عن ٥٧٠٠٠٠ هكتار وأكثر ما يزرع هو القمح والشعير والشوفان وعباد الشمس والبنجر.

وحسب الاحصائية الرسمية لعام ١٩٨١ بلغ عدد الألبانيين في يوغسلافيا ١٨٠٧٩٢٠ نسمة ويشكلون نسبة ٨٪ من جملة سكان يوغسلافيا، ويتمركز أكثرية الألبانيين في إقليم كوسوفا حيث بلغ عددهم ١,٢٣٠٠٠٠ نسمة أي بنسبة ٧٧,٧٪ من جملة سكان الإقليم وفي جمهورية مقدونيا يوجد المسلمون الألبان بنسبة ٣٠٪ من مجموع سكان مقدونيا وكذلك يوجد ١٥٠ ألف ألباني في جمهورية مونتنيغرويا (الجبل الأسود) ويقول الألبانيون بأن عددهم ٢,٥ مليون نسمة في يوغسلافيا وأنهم يشكلون نصف مجموع مسلمي يوغسلافيا حاليًا. وتقول الأخبار الصحفية الحديثة بأن عدد سكان إقليم كوسوفا يبلغ ٢,٣ مليون نسمة يشكل الألبان نسبة ٨٥٪ منهم وأن

نسبة النسل عالية إذ بلغت ٣٦٪ ١٠٠٠ في عام ١٩٧٢ ومتوسط الأسرة ما بين ١٠ – ١٥ شخصاً .

وبالرغم من الأكثرية الألبانية المسلمة في كوسوفا وأقلية الصرب وغيرهم فإن المراكز الإدارية في الإقليم هي بيد الصرب ، كما أن هؤلاء الصربيين يتحكمون في المراكز الاقتصادية والتجارية وقد ازدادت بطالة العمال لأكثر من ٤٠٪ مع أنها لا تتجاوز ١٤٪ في باقي مناطق يوغسلافيا ، مما أدى إلى تدهور الحياة المعيشية وانخفاض متوسط الدخل إلى نصف نظيره في جمهورية صربيا التي تتبعها إدارياً .

كما أن خطة تطوير الإقليم التي وضعت منذ سنوات لم تنفذ ولا يوجد في الإقليم إلا بضعة مصانع ولا يوجد من المؤسسات التجارية والانشائية إلا اثنان من ١٦٠ شركة استثمارية في يوغسلافيا .

وحكومة يوغسلافيا المركزية لم تنفذ وعودها في استغلال الثروات المعدنية ومصادر الطاقة على تطوير إقليم كوسوفا ، ونسبة رأسمال البنك الوحيد في بريشتينا عاصمة كوسوفا لايزيد عن ٣٪ فقط .

وهذه الظروف الاقتصادية والاهمال الحكومي جعل إقليم كوسوفا من أفقر المناطق ليس في يوغسلافيا فحسب بل في أوروبا كلها ، مما دفع بالمسلمين إلى ترديد القول (كوسوفا ينتج وبلغراد تبني) والثروات التي يكد العامل الألباني لإخراجها من داخل الأرض ينتهي دوره بالتعب والارهاق وبما لايغني ولايسمن من جوع فالثمرة والنتاج يستغلها الموظف الصربي الذي يستوطن أحدث الأحياء السكنية التي تتوفر فيها وسائل الترفيه والاتصال والمواصلات ، وإذا حاول ألباني مسلم كما حدث في قرية لايجي سيلوان يسكن فيها يحرق منزله ويجبر على الرحيل . بل يحظر على الألباني مجرد التجول في طرقات الحي الحديث ، وكأن على الألبان وحدهم القيام بالأعمال الشاقة فهم الذين يقطعون الأشجار ويستخرجون الفحم الحجري ويزودون المنازل والعمارات بمواد التدفئة وهم الذين ينظفون الشوارع ويرصفونها ومع ذلك فهم الذين يسكنون في

أقبية العمارات والأكواخ ولا تعرف كثير من قرى الألبان نعمة الكهرباء ولا تزال معظم منازلهم بالطين ومواصلاتهم الحمير والبغال تحمل الخضر والفاكهة إلى الأحياء السكنية الفاخرة والمدن الصناعية .

ومع ذلك فإن السلطات في يوغسلافيا والصرب تنظر إليهم بحقد واحتقار وشك دائمًا بتهمة أنهم مسلمون وكسالى ويحتاجون إلى ذكاء الصرب لزيادة العمل والإنتاج . حتى إن المارشال تيتو زعيم كتلة عدم الانحياز عندما كان يزور الإقليم كان يخاطب الجماهير من شرفة قطاره ولم تطأ قدماه أرض بريشتينا .

وينظر إلى الألبان أنهم أحفاد المستعمرين العثمانيين ويطلق عليهم لفظ شبتار Siptar لكن الصربي امعانًا منه في احتقارهم يلفظها شفتار Siptar لإثارتهم والازدراء بهم .

إن هذه النظرة الدونية والمعاملة العنصرية وتمتع الأقلية الصربية بالامتيازات في الأعمال والمناصب والاقتصاد وفرص التعليم إلى جانب ما يعاني الألبانيون من محدودية فرص الالتحاق بجامعة كوسوفا وهي الجامعة الوحيدة في الإقليم وقلة فرص تشغيلهم وتوظيفهم مما أثار سخط الأكثرية المسلمة وأدى إلى انتفاضتهم في مارس ١٩٨١ ، حيث خرجت جموع الألبانيين المسلمين التي تصدرها الطلاب مطالبين بتحسين ظرف الدراسة والعمل ووقف سياسة التجاهل والاهمال التي تنفذ في بلادهم ومطالبين بتحويل إقليم كوسوفا ذي الحكم الذاتي إلى جمهورية فيدرالية ضمن الاتحاد اليوغسلافي . ويستند هذا الطلب بأن مونتينيغرويا (الجبل الأسود) التي مساحتها ١٣٫١٢كم^{٢} ويبلغ سكانها ٥٨٠٠٠٠ نسمة وهم من الصرب أصلاً تشكل جمهورية وكان الأولى أن تضم إلى جمهورية صربيا ، ولكنها رغبة الصرب في أن يكون لهم صوت مرجح في المجلس الرئاسي الفيدرالي وإقليم كوسوفا الذي يبلغ مساحته ١٠٨٨٧كم^{٢} وسكانه ٢,٣ نسمة أكثر من ضعفي سكان مونتينيغرويا وأكثر سكانه الأصليين من القومية الألبانية المميزة كان لابد لها أن تشكل جمهورية .

ونزل الجيش الصربي بشراسة لقمع الانتفاضة وقتل أكثر من ألفي ألباني وزج بآلاف

في السجون وقد نشرت جريدة داناس Danas التي تصدر في زغرب بعددها الصادر في ٢/٤/١٩٨٤ بأن المحاكم في كوسوفا أصدرت أحكامًا قاسية وأن هناك آلافا من الناس في السجون. وهذا يعني أن في إقليم صغير مثل كوسوفا لم تنج أي عائلة ألبانية من أثر الإرهاب والاعتقال وكان الشباب يشكل العنصر الأكبر من المعتقلين.

وقد استقر خمسون ألف جندي صربي مستغلين هذا الحدث في كوسوفا هدفهم البطش بالمسلمين وترويعهم ولم تنج النساء والأطفال منهم ففي يوم ١٦/٦/١٩٨٤ حكم على ١١ طفلاً تراوح أعمارهن بين ٨-١٠ سنوات بالسجن بحدود وصلت إلى ثمان سنوات. وانتقد فرع رابطة الشيوعيين اليوغسلاف في لوبليانا عاصمة جمهورية سلوفينيا تلك المحاكمة ووصفها بأنها أبشع اعتداء على حقوق الإنسان في يوغسلافيا. ويقال: إن السلطات الصربية وجدت في أحداث عام ١٩٨١ ما يغذي كراهيتها للألبان وبذلك وجهت التهم بغير حق لكثير من الألبان وزجت بهم في السجون، وفي أواخر عام ١٩٨٨ كشف رحمن مورنيا وزير الداخلية في إقليم كوسوفا الذي رشحته قيادة صربيا زعيمًا لحزب كوسوفا الشيوعي في أوائل عام ١٩٨٩ بأنه خلال عدة سنوات دخل السجن ١٥٠ ألف ألباني لفترات مختلفة من أسبوع إلى ١٥ سنة وتعرض حوالي ٣١٥ ألف إلى إجراءات مختلفة.

وإلى جانب هذا فقد تصاعدت بشكل مخيف المشاعر المعادية للمسلمين عامة وبالأخص ضد الألبانيين منهم، ويقول عاصم فلاسي Azim Vlasi وهو رئيس لجنة الحزب الشيوعي في بريشتينا:

يظهر أن هناك لعبة قذرة وشريرة تلعب منذ مدة طويلة تحقر الشعب الألباني وتقلل من أهمية كل ما تم بناءه في إقليم كوسوفا كإنجاز يوغسلافي أو حتى كعمل إنساني، وبذلك تحطم كل القيم وتغذي الكراهية والانفصال. وقد تولى سلوبودان ميلوسفيتش زعيم الحزب الشيوعي الصربي إذكاء نار الحقد ضد الألبانيين وقد جاء في خطاب له في أواخر عم ١٩٨٨: «هنا على أرض كوسوفا بالذات علينا أن نحشد جميع قوانا لنثأر

لأجدادنا من أعداء تاريخنا علينا أن نطرد المسلمين من أرضنا وأن نلحق بهم العار الذي ألحقوه بنا.

وأخذت هذه النعرة الصربية تسيطر بالتدريج على صحف ومجلات بلغراد وتشيع أن تيتو أعطى الألبانيين أكثر مما يستحقون وأن الحل يكمن في إعادة كوسوفا إلى سيطرة صربيا، وتبنت الأكاديمية الصربية للعلوم والفنون ورابطة الكتاب في صربيا هذا الموقف الصربي الجديد، وبرزت عشرات الكتب التي وضعت بسرعة لإثارة - المشاعر الوطنية والدينية الصربية، كما ألفت الأكاديمية - فريقًا علميًا، لتقييم تطور يوغسلافيا في عهد تيتو توصلت إلى أن صربيا هي كبش الفداء، وأن الرئيس تيتو نجح في ضرب صربيا والصربيين الأرثوذكس بتحالف كاثوليكي - إسلامي.

وبعد أن أخفق الألبانيون في تحقيق مطالبهم في جمهرية مستقلة لهم في المؤتمر الاستثنائي لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف الذي عقد في ١٧ - ١٨ أكتوبر ١٩٨٨، ورأى معظم المؤتمرين ترك بحث الخلافات العنصرية مؤقتًا لإيجاد محاولة لحل المشاكل الاقتصادية المتأزمة التي تتعرض لها البلاد.

انتهز الصرب هذه الفرصة على تأكيد تبعية كوسوفا لجمهورية صربيا وبالمطالبة بتغيير القيادة في كوسوفا لأنها لم تهتم بحماية الأقلية الصربية هناك. وذلك في الاجتماع الحزبي المنعقد في ٢ نوفمبر ١٩٨٨ وحشدت قيادة الصرب حوالي مليون متظاهر صربي ساروا في شوارع بلغراد مطالبين بتحكيم الصرب على كوسوفا وفويفودينا الإقيميين المتمتعين بالحكم الذاتي في جمهورية صربيا وذلك في ١٩ نوفمبر ١٩٨٨ مما أدى إلى تنحية يساري كاجوسا زعيم حزب كوسوفا الشيوعي وأعظم حساني عضو اللجنة المركزية وكذلك جمعة سلماني وفوديسلاف زايتش.

وفرضت صربيا قيادة جديدة موالية لها وهم رحمن مورينا وعلي شكري وحسام الدين عظيم عوضا عن القيادة التي كانت تتمتع بتأييد غالبية شعب كوسوفا.

وأمام هذه الإجراءات الغاشمة والتدخل السافر في شئون الإقليم الذي يتمتع بالحكم

الذاتي بموجب دستور عام ١٩٧٤ قام عمال مناجم الزنك والرصاص بالإضراب العام في ٢٥ فبراير ١٩٨٩ مما أجبر حكومة يوغسلافيا الاتحادية علي ارسال رئيس أركان الجيش اليوغسلافي الجنرال زيتيان ميركوفيتش على رأس وحدات عسكرية مسلحة لفض الإضراب والمظاهرات الشعبية التي اندلعت مطالبة باستقالة الأشخاص الذين عينتهم قيادة صربيا ولم يجد الثلاثة بدا من الاستقالة وهم رحمان مورنيا رئيس الحزب الشيوعي في كوسوفا وحسان الدين أعظم ، رئيس الحزب في العاصمة بريشتينا وعلي صقريا عضو اللجنة المركزية لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف .

ولكن هذه الاستقالة كانت شكلية لإنهاء الإضراب حيث عاد الأشخاص المذكورون إلى مراكزهم بقوة الجيش والسلاح بعد فرض الأحكام العرفية ومنع التجول في الليل والتجمهر لأكثر من ثلاثة أشخاص في النهار .

ثم استغلت قيادة الصرب ظروف الأحكام العرفية ودعت مجلس الشعب في إقليم كوسوفا بطلب الإقرار بتغيير الدستور أي التخلي عن استقلالية كوسوفا . وفي ٢٣ مارس ١٩٨٩ أحضر جميع أعضاء مجلس الشعب بقوة السلاح إلى صالة الاجتماع وأرغم على التصويت علي تغيير الدستور بحيث تضمن فرض قيود على الحكم الذاتي وإعطاء جمهورية الصرب السيطرة الفعلية علي أجهزة الشرطة والمحاكم والدفاع المدني والمدارس وصلاحية التعيينات الرسمية فيه ، ثم فرضت حالة الطوارئ في كوسوفا على أثر الاضطرابات التي أعقبت ذلك .

وقد أدت إجراءآت القمع الوحشية التي يقوم بها الجيش الصربي ضد الألبانيين وسقوط مئات القتلى واعتقال الآلاف بدون مبرر سوى مطالبتهم بحقهم الدستوري في حفظ كيانهم وحقوقهم إلى اهتمام البرلمان الأوروبي الذي أوفد بعثة خماسية استطلاعية في يوم الثلاثاء ٣٠ مايو ١٩٨٩ ولكن الوفد غادر كوسوفا بدون أن يتمكن من الاجتماع بممثلي المتظاهرين والمثقفين الألبان الذين منعتهم حكومة يوغسلافيا من مقابلتهم ويقال إن الرئيس الأمريكي جورج بوش حذف زيارة يوغسلافيا من جولة أوروبية كان أزمع القيام بها في شهر يوليو ١٩٨٩ بسبب انتهاك حقوق الإنسان في

كوسوفا وفي الوقت الذي تهتم بعض الهيئات الأوروبية بوضع كوسوفا المتأزم لاتزال الهيئات الإسلامية العالمية صامتة كأن الأمر لايعنيها بشيء.

وفي الواقع أن تطرف الصرب واندفاعهم الأعمى إلى فرض سيطرتهم الاستبدادية على إقليم كوسوفا هو الذي أجج نار الفتنة ضدهم ويكفي لإثبات هذه الإشارة خطاب الزعيم الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش في المظاهرة الضخمة التي نظمها في بلغراد بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٨٨ الذي جاء فيه : ليس هذا وقت بكاء إنما هو الحرب ويجب أن نكسب المعركة في كوسوفا ولن يتمكن أحد أن يعترض ضمه إلى صربيا فقد كان مركز حضارة وتاريخ الصرب.

وهذه الحرب التي شنها على الألبانيين دفعت بالكثر من الألبانيين المسلمين المعتدلين أمثال محمد فضالي أمين حزب كوسوفا للانحياز إلى المعارضة، وجعلت جماعات الشباب المتطرف تلوح برغبتها في انضمام كوسوفا إلى الوطن الأم ألبانيا لحمايتهم من الاستئصال ولاشك أن هذا الأمل هو وليد التطرف الصربي الذي يدعي أن كوسوفا هو جزء لايتجزأ من دولة صربيا وأنها الأرض المقدسة التي يجب أن تسترد بسرعة صبغتها الصربية بغض النظر عن وجود شعب آخر فيها يمثل غالبية السكان وهم الألبان.

وفي الوقت الذي يتجاهل الصربيون ممارساتهم الوحشية واستفزازاتهم المتكررة لمشاعر الألبانيين بقولهم: إن كوسوفا تنجب القنابل البشرية وأن الأوامر صدرت إلى النساء لإنجاب أكبر عدد من الأطفال ويقول سلوبودان ميلوسيفتش بحقد كبير: لم أشاهد امرأة ألبانية في كوسوفا إلا وهي حامل فقد تكون في السبعين ولكن بطنها منتفخ فهم يحاربوننا بالأطفال فهم يتهمون الألبانيين بالعمل على تحويل كوسوفا إلى إقليم ألباني مسلم نقي ١٠٠٪ لإعلان الانفصال والانضمام إلى ألبانيا – وذلك من خلال تزايد النمو السكاني المقصود لهم ممارسة أعمال عدائية أدت إلى نزوح مايزيد عن عشرين ألف صربي من كوسوفا منذ أحداث عام ١٩٨١.

ومع أنه لم يثبت أن طرد الألبانيون إخوانهم المواطنين الصرب بالقوة واغتصاب

حقوقهم في كوسوفا لكن سلطات الحزب الصربي نجحت في شن حملة إعلامية توهم الصرب بأن الأقلية الصربية تتعرض للاضطهاد من الأغلبية الألبانية مما اضطرها على الهجرة من إقليم كوسوفا يظهر حقيقة نزوح الصربيين في مقال كتبه الدكتور أكرم عاريفي عضو اللجنة المركزية لحزب كوسوفا الشيوعي في مجلة داناس Danas التي تصدر في زغرب في جمهورية كرواتيا بعددها ٢٥٦ الصادر بتاريخ ١٩٨٧/١/١٣ حيث يقول : إن المشاكل في كوسوفا لا ترجع لتعصب قومي وإنما ترجع إلى ظروف اقتصادية سيئة وأحوال اجتماعية متغيرة وارتفاع معدل البطالة وانخفاض التنمية وتدني مستوى المعيشة التي دفعت الصرب وغيرهم على الرحيل من كوسوفا وهي الأسباب التي أجبرت الألبانيين على الهجرة منها والعمل في الجمهوريات الأخرى أو حتى في خارج يوغسلافيا.

ذكرى معركة كوسوفا في ٢٨ يونيه ١٣٨٩م :

لقد دعا سولوبودان ميلوسيفيتش الزعيم الصربي في خطابه لجموع الصرب المتظاهرين في بلغراد بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٨٨ لاستعادة ذكرى معركة سهل كوسوفا Kosovsko-poije التي وقعت قبل ستمائة عام في يوم ٢٨ يونيه ١٣٨٩ قائلاً : على كل صربي أن لاينسى المجزرة التاريخية التي أنزلها أبناء الأتراك المسلمين عام ١٣٨٩ ، هنا على أرض كوسوفا بالذات علينا أن نحشد جميع قوانا لنثأر لأجدادنا من أعداء تاريخنا ، علينا أن نطرد المسلمين من أرضنا وأن نلحق بهم العار الذي ألحقوه بنا ولنذكر دائماً أن معركة كوسوفا ١٣٨٩ كانت بمثابة نهاية مملكة الصرب القديمة على يد المسلمين ، فلنعمل معاً إذن لتحرير كوسوفا ولإعادة إحياء أمجاد صربيا العظيمة لكي نتمكن في العام القادم من الاحتفال بعيد محو العار التاريخي العالق بنا منذ ستمائة عام .

ومما لاشك فيه أن غزو العثمانيين شمل شرق أوروبا وتعرضت له شعوب المنطقة كلها ، وكما حارب الصربيون جنود العثمانيين لم يتردد الألبان في محاربتهم بل كانت معارك الألبان ضارية وشرسة ولكن الله تعالى شرح صدور الألبان للإسلام ولم يكن

تحول الألبان إلى شعب مسلم بقوة السلاح في معركة كوسوفا ١٣٨٩– ولكن كان تدريجيًا حسب اقتناعهم الشخصي بعدالة الإسلام. فما هي قصة هذه المعركة التي يتحمل نتائجها الألبانيون المسلمون وحدهم بعد ستمائة عام؟؟

يقع إقليم كوسوفا الذي استوطنه الدردانيون في القرن الثالث قبل الميلاد الذين ينتسبون إلى القبائل الأليرية التي تعتبر الأصل الذي انحدر منه الألبانيون في قلب شبه جزيرة البلقان، ثم احتله الملك دوشان (١٣٣١ – ١٣٥٥) وضمه إلى مملكة صربيا وأعلن نفسه (امبراطور الصربيين والبلغاريين واليونانيين والألبانيين) في عام ١٣٤٦م، كما ارتقت الكنيسة الصربية إلى بطريركية لتناسب مقام امبراطورية الصرب الجديدة ولكن هذه الامبراطورية الصربية سرعان ما انقسمت بعد موت دوشان إلى ثلاث دول يرأسها كل من :

١ – أوروش بن دوشان في شمال صربيا.

٢ – جورج برانكوفيتش ممثل أسرة فيمانيا بجزء من مقدونيا وجزء من كوسوفا.

٣ – بالشاي بالجزء الباقي من كوسوفا وألبانيا الشمالية والجبل الأسود.

هذه الانقسامات وصراع دول البلغار سهل تقدم الجيش العثماني في شبه جزيرة البلقان، بيد أن هذا التغلغل السريع أثار مخاوف الملوك ورؤساء القبائل فتجمعت جيوش بلغارية وبسنوية وألبانية وفلاخية تحت قيادة لازارهر بلانوفيتش الملك الجديد لصربيا وفاق تعداد ما تجمع له من الجنود مائتي ألف مقاتل واستعد بهم لملاقاة المسلمين في سهل كوسوفا.

وكان السلطان مراد مع ولديه بايزيد بيلدرم ويعقوب شلبي قد تمركز مع جنده في مدينة بلوفديف في بلغاريا وسار منها نحو مكان المعركة ولما شاهد السلطان مراد كثرة جنود الأعداء ابتهل إلى الله عز وجل واستشار قواده – لوضع خطة لدحرهم، فاقترح أحد القواد أن تتقدم الإبل الجيوش الإسلامية لتفزع منها خيول أوروبا التي لم تر الإبل من قبل وترتبك صفوف الكفار ويدب الذعر بينهم ويعاجلهم جند المسلمين بالهجوم. ولكن الأمير بايزيد رد عليه قائلاً : نحن نحارب لإعلاء كلمة الله عز وجل وكان النصر

حليفنا دائماً. ويجب أن لانقوم بهذه الخدعة لأن الإبل قد تخاف وترتد على المسلمين. بل يجب أن نتوكل على الله ونهاجم بشجاعة.

وفي صباح يوم ٢٨ يونيه ١٣٨٩ نشبت المعركة بين الطرفين بالقرب من مدينة بريشتينا في سهل كوسوفا وانتهت لصالح العثمانيين بعد مقتل لازار ملك الصرب وقد فرح المسلمون بنصر الله تعالى لهم. ولكن أحد أمراء الصرب طلب مقابلة السلطان مراد لكي يعلن إسلامه أمامه فلما أذن له بالدخول طلب أن يقبل قدم السلطان ولكنه ما إن اقترب منه إلا وعاجل السلطان بطعنة خنجر مسموم في بطنه على أثرها استشهد السلطان مراد في يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان عام ٧٩١ هجرية الموافق ١٣٨٩/٨/٩م.

وتولى بايزيد بيلدريم الحكم بعد استشهاد أبيه ثم قام بتولية الأمير استيفان بن لازار حاكماً على صربيا وتزوج أخته أوليفيرا وأجازه أن يحكم بلاده حسب قوانينهم بشرط أن يدفع جزية معينة.

في الواقع أدى انتصار المسلمين في معركة كوسوفا إلى تضاءل الدولة الصربية وتكريس الوجود العثماني الإسلامي في قلب البلقان إذ أن الإسلام أخذ ينتشر بين السكان عامة وخاصة بين الألبانيين والبوسنويين الذين كان الإسلام سبباً في بقائهم أمة متميزة إلى اليوم وهو الذي حمى الألبانيين من الذوبان الكامل في بوتقة الصرب كما أبرز البوسنويين الذين يشتركون مع الصربيين في الدم واللغة والدين أمة جديدة متميزة بالدين الإسلامي وأدى الترابط الديني الذي حدث مع مرور الزمن إلى الاستشعار بالأخوة الدينية، وكان طبيعياً أن يشعر المسلمون فيما بينهم من الألبانيين والبوسنويين وغيرهم بروابط أخوية مع الأتراك العثمانيين كما اجتمع المسيحيون من الصربيين والبلغاريين وغيرهم على قرابة الدين والانتظار من الدول المسيحية المجاورة التدخل لخلاصهم من الحكم العثماني.

ورغم من مرور مئات السنين على معركة كوسوفا لايزال الصرب يتحدثون عن هذه الموقعة وكأنها حدثت بالأمس ومازال استعدادهم قائماً حتى اليوم للثأر لها في أي وقت

تسمح به الظروف ويقول الصرب إن الفرصة قد حانت للاحتفال بعودة كوسوفا إلى صربيا وان انتصار المسلمين قد ولى وان الصرب قد استعاد مجده بالرغم من مرور ستمائة عام على معركة كوسوفا.

ومن المتوقع أنه قد وفد ما لايقل عن مليون صربي للمشاركة فى الاحتفالات التي تجرى في خارج بريشتينا يوم ٢٨ يونيه ١٩٨٩ في الذكرى المئوية السادسة لمعركة كوسوفا التي شهدت انتصار الأتراك على قوات الصرب وأسفرت عن انهيار دولة الصرب في القرون الوسطى ويقول مومتشياوترا يكوفيتش الزعيم الصربي الجديد لحزب بريشتينا الشيوعي عن هذه المناسبة : إن الصربيين لا يحتفلون بالهزيمة بل يريدون التأكيد أن باستطاعتهم البقاء على قيد الحياة رغم قرون متعاقبة من السيطرة التركية.

ومع أن الحكم الإسلامي خلال وجوده لم يتعرض للمسيحيين أو مؤسساتهم بشهادة علمائهم ورهبانهم وكتابهم وأن دخول المسيحيين للإسلام كان طوعًا واختياراً لاقتناعهم بالدين الإسلامي فقد عاش المسيحيون جنبًا إلى جنب مع المسلمين مواطنين لهم ما للمسلمين من حقوق وواجبات المواطنة ولم يكن هناك قهر وبطش وإبادة بسبب ديانتهم كما يحدث اليوم للمسلمين.

الإسلام في يوغسلافيا :

ما كانت الشيوعية وهي التي تعتبر الدين أفيون الشعوب وترى محاربته من مبادئها الأساسية أن تتعاطف وتتسامح مع الدين، ولكنها تهادن حتى إذا وجدت الفرصة انقضت عليه بضراوة.

وهذا ما تميز به الحكم الشيوعي في عهد المارشال جوزيف بروز تيتو في يوغسلافيا الذي بدأ بالعنف والبطش ومصادرة الأوقاف وإغلاق المساجد والمدارس الإسلامية واتلاف الكتب الدينية وإلغاء الالتزام بالأحوال الشخصية الإسلامية فمثلاً خلال الحكم العثماني كان في بلغراد ٢٧٠ مسجداً تقام في ٣٣ منها صلاة الجمعة وبها ١٧ تكية و٨ مدارس ثانوية إسلامية و٩ دور حديث و٢٧٠ كتاتيب قرآنية لم يبق منها الآن إلا مسجد واحد وهو مسجد بيرقل الذي بني عام ١٥٢١م.

وبلغ ضحايا تطبيق الحكم الشيوعي ما يزيد عن ٢٤ ألف قتيل منهم الشيخ مصطفى يوصولا جيتش والشيخ عصمت مفيتش الذي شنق أمام مسجد زغرب - الذي هدم عام ١٩٥٣ . وقد ذكر جمال نوركيتش في كتيبه (رسالة إلى المسلمين) بأن حوالي ٧٢٠ ألف مسلم يوغسلافي مروا بالسحن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

ثم بدأت الهدنة تظهر مع حركة الانفصال عن سيطرة الاتحاد السوفياتي وحركة دول عدم الانحياز لاكتساب تعاطف زعماء العرب والمسلمين لأفكاره وآراءه ولينال الدعم السياسي لمكانته الدولية والوطنية ، وخفت القسوة الوحشية ضد الدين وتحققت حرية نسبية لممارسة الشعائر الدينية وفتحت المساجد وعمل على تشكيل هيئات رسمية للإشراف على النشاط الإسلامي وتوجيهه طبقًا لسياسة الحكم الشيوعي لخدمة أغراضه في الداخل والخارج ، فتعطى الشكل الإسلامي والاطمئنان الظاهري وتعمل أجهزتها وشخصياتها على تنفيذ توجيهات وتعليمات الدولة الخاصة بشئون الدين الإسلامي من خلال المؤسسات الإسلامية التالية :

١ - المشيخة الإسلامية العليا هي أعلى سلطة إسلامية في بلغراد العاصمة المركزية ليوغسلافيا تقوم بتمثيل المسلمين خارج يوغسلافيا وأمام السلطات الاتحادية وتشرف على جميع النشاطات الإسلامية التي تزاولها المشيخات الإسلامية الإقليمية وتتولى التوجيه والتنسيق في أعمالها ومهامها . ويرأس هذه المشيخة رئيس العلماء ويعتبر عذا المنصب أهم منصب إسلامي في يوغسلافيا وأما المشيخات الإسلامية الإقليمية فهي :

(١) المشيخة الإسلامية لجمهوريات البوسنة والهرسك وكرواتيا وسلوفينيا ومركزها في سراييفو .

(٢) المشيخة الإسلامية لجمهورية صربيا ومقرها بريشتينا .

(٣) المشيخة الإسلامية لجمهورية مقدونيا ومقرها سكوبيا .

(٤) المشيخة الإسلامية لجمهورية الجبل الأسود ومركزها تيتوغراد .

وبالإضافة إلى هذه المشيخات الإسلامية هناك ١٦٦ مجلسًا محليًا يرتبط بالمجالس الإسلامية النيابية الأربعة التي تشرف على المشيخات الإسلامية الإقليمية الأربعة وهناك مجلس إسلامي نيابي اتحادي في بلغراد .

وبعد موت تيتو عام ١٩٨٠ أخذ زعماء الحزب الشيوعي يختصمون علانية مع رجال الدين ويتهمونهم بالتآمر والقيام بنشاطات مضادة ضد الدولة والثورة، وتعمل القيادة الشيوعية الحديثة على كبح زمام التسامح الديني المحدود الذي اتخذه زعيمها الراحل، ادعاءاً بأن الممارسات الدينية تضر بمصالح الحزب الشيوعي.

وقد نشرت مجلة نين Nin الصادرة في بلغراد بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٨٧ هجوماً سافراً ضد الإسلام زعمت بأن تدريس القرآن الكريم يؤثر سلبياً على الانتماء الوطني لتلاميذ المسلمين وتفانيهم في خدمة بلادهم وأن تسميم أفكار التلاميذ بالعلوم الدينية لا يناسب الواقع ولا العصر. وأن أئمة المساجد وقادة الطائفة الإسلامية يستغلون الحريات الدينية التي تعطي لهم لممارسة العبادة فقط في تعليم أبنائهم أفكاراً غربية وغير علمية مرفوضة من العقل العلمي النير. وحذرت من تزايد عدد المتخرجين اليوغسلاف من جامعات الشرق الأوسط والدول الإسلامية الأخرى الذين زعمت بأنهم عند حضورهم لتدريس الشريعة الإسلامية وأصول الدين ينقلون أفكاراً مثل وحدة العالم الإسلامي وأن المسلمين أخوة، وهذا مما يشكل - حسب زعم المجلة اليوغسلافية - خطراً كبيراً لا ينبغي السكوت عليه.



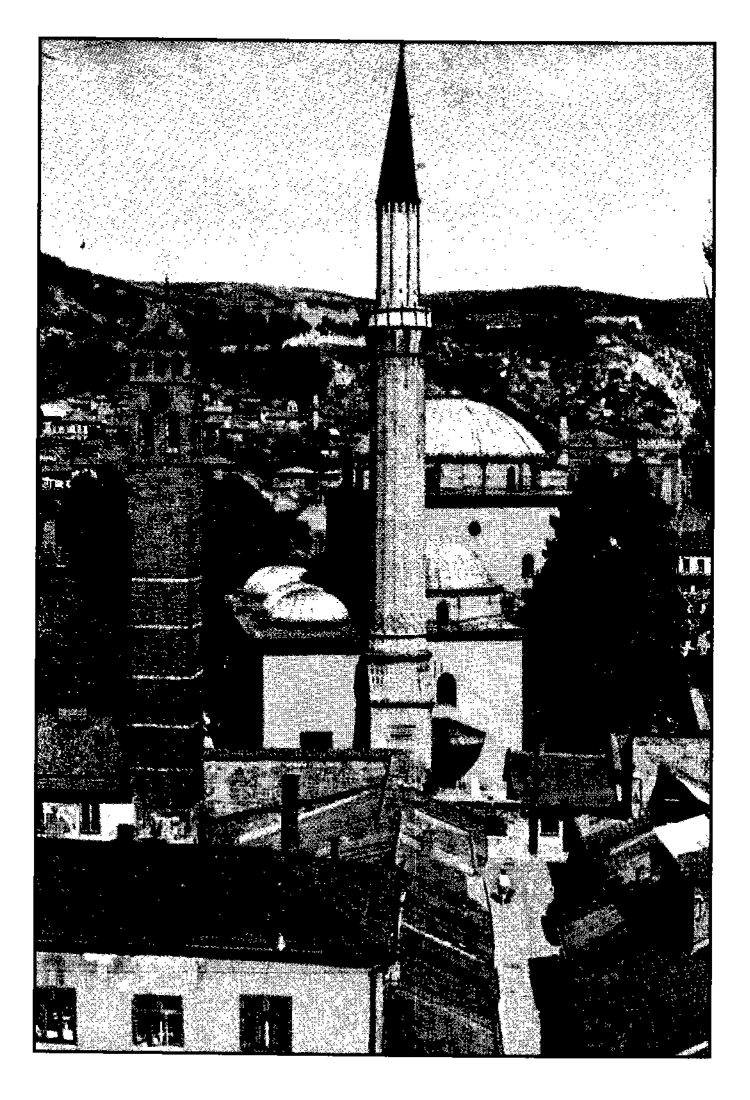
مبنى مدرسة إسلامية في يوغسلافيا

أما جريدة بولتيكا Politika الصادرة في بلغراد بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٨٧ فقد هاجمت على لسان كاتبها تشيريلوفيتش بعض الدول الإسلامية لأنها تحاول تغذية الإسلام في يوغسلافيا ليكون انطلاقة نحو أوروبا الغربية والمجتمعات الاشتراكية.

طبعًا لم يقتصر الهجوم الشرس على الإسلام في الصحف والمجلات وانتقاد أئمة المساجد في تعليم أبنائهم ومزاولة نشاطاتهم الدينية فحسب، بل اتخذت السلطات الشيوعية إجراءات عملية لمحاربة الإسلام، ففي عام ١٩٨٧ فرضت السلطات الشيوعية غرامات مالية كبيرة علي ٤٣٤٦ عائلة مسلمة لأنها أرسلت أبناءها إلى مدارس إسلامية، يعني المساجد. وفي سبيل الحد من تعليم الأبناء القرآن الكريم وأحكام الإسلام يعتزم الحكم الشيوعي إصدار قرار يمنع تلقين تعاليم الدين الإسلامي لمن هم دون الخامسة عشرة سنة. وقد استدعى الشيخ حمدي يوسف سياهيتش رئيس الهيئة الدينية الإسلامية في بلغراد في شهر رمضان ١٤٠٨ وطلب منه اتخاذ الاجراءات لمنع النشاط الذي يقوم به الشباب المسلم اليوغسلافي لنشر الدين الإسلامي. ونشرت جريدة المسلمون في عددها ١٩٩ بتاريخ ١٤٠٩/٤/١٦ بأن مجموعة من المسلمين اليوغسلاف ذوي الأصل التركي اتهمت الحكومة اليوغسلافية بقيامها بعمليات صهر لمحو الهوية الإسلامية وأنها تقوم بهدم منازل المسلمين وتفرض عقوبة الحبس على من يحاول إعادة بنائها كما منع المسلمون من أداء شعائرهم الدينية وفرض عليهم عدم إنجاب أكثر من ثلاثة أولاد.

وتدعى السلطات الشيوعية بأن تزايد عدد المساجد التي تفوق حاجة المسلمين اليوغسلافيين يؤدى إلى مشاكل سياسية علاوة أن بعضها لم يتم تشييده بصفة قانونية وذكرت مجلة أمباكت العالمية بعددها الصادر فيما بين ٢٥ يناير – ٧ فبراير ١٩٨٥ بأن المتحدث الرسمي لحكومة جمهورية كرواتيا صرح عن بناء مسجد زغرب بقوله: بأن الشروط قد انتهكت خلال عملية البناء وأن المسجد أكبر من المساحة التي اعتمدها التصريح الحكومي وأن بعض أجزاء المسجد لايحمل صفة دينية يقصد بها صالات

المحاضرة والفصول الدراسية وغرف ضيوف المسافرين المسلمين وقد تعرض هذا المسجد لحرقه على أيد خفية ويعتقد أن هناك صلة بين هذا الحادث والاعتداء على مقابر المسلمين والحملات التي تشن ضد الإسلام.



مسجد في يوغسلافيا

وكذلك قامت الحكومة الشيوعية بنسف أحد المساجد التي بناها المسلمون بجهودهم الذاتية في قريج ارناكا في جمهورية مقدونيا مما أدى إلى تهدم المسجد وتصدع البيوت

المجاورة وبالرغم من احتجاج المشيخة الإسلامية لمسلمي يوغسلافيا فقد تم تحويل مسجد إبراهيم باشا الذي بنى في القرن العاشر الهجري والمدرسة الإسلامية في ترافنك التي كانت معهداً لتحفيظ القرآن الكريم إلى سوق تجارية في أواخر عام ١٩٨٧ .

كما فرضت القيادة الشيوعية ضريبة مالية قدرها ألف وخمسمائة دولار على كل مسلم يرغب في أداء فريضة الحج عملاً على منع اتصال المسلمين اليوغسلاف بغيرهم والتأثر بأفكار الصحوة الإسلامية وقد أدى هذا الأمر إلى انخفاض كبير في عدد الحجاج اليوغسلافيين في السنوات الأخيرة.

وهذه الأحداث والإجراءات التعسفية تؤكد أن القيادات اليوغسلافية الجديدة لها وجهة نظر خاصة نحو الإسلام ، تجتمع عليها عداوة الشيوعيين وأحقاد قيادة الصرب الأرثوذكس التي سبق توضيحها ، أما الشيوعيون فيعزون أسباب المشاكل الاقتصادية والسياسية التي تعاني منها يوغسلافيا اليوم إلي خروج الحكم عن الخط الأيديولوجي والسياسي الشيوعي ، ويدعو بعض المتطرفين إلى تطهير شامل يتم فيه تصفية المعتدلين والوطنيين ورجال الدين ويطالب لوكا ماركوفيج المنظر الاشتراكي بإجراء تغيرات في النظام الاقتصادي وبرنامج رابطة الشيوعيين اليوغسلاف ، بدعوى أن هذه الرابطة أصبحت برجوازية التكوين وغير قادرة على توحيد كوادر الشيوعيين ويعترض الآخرون على هذا الرأي بطلب العودة إلى المبادئ الأساسية لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف وترك الاتجاهات الاجتماعية تضمحل أو تزدهر بذاتها وذلك بحظر مزاولة كل نشاط يؤدي إلى تزايد ونمو أفكار واتجاهات مناهضة لها .

وخلاصة البحث أن المسلمين اليوغسلاف ودينهم الإسلامي يتعرضان لهجوم ضار بجميع الوسائل والأساليب بهدف استئصال الوجود الإسلامي وكيانه وأفراده في يوغسلافيا ، إما بتحويل المسلمين إلى شيوعيين وتنصيرهم أو بالاكراه على الهجرة من يوغسلافيا إلى تركيا وألمانيا وبلاد العرب وبذلك يتم حسب زعمهم تحرير يوغسلافيا . ولكن الله عز وجل الذي وعد بنصر المؤمنين كفيل برد كيدهم في نحورهم ودحر خططهم ودسائسهم ﴿**ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾ .

المذكــــرات

يوم الثلاثاء ٢٨ شوال ١٤٠٥هـ - ١٦ تموز (يوليو) ١٩٨٥م

من الرياض إلى أثينا :

غادرت طائرة الخطوط الجوية السعودية مطار الملك خالد الدولي الفاخر في الرياض الساعة الحادية عشرة ضحى قاصدة جدة لتقف فيها بعض الوقت تغادر بعده إلى أثينا .

وقد طارت بالفعل إلى أثينا عاصمة اليونان في الساعة الثانية ظهراً ، وأعلن مكبر الصوت فيها أن الرحلة من جدة إلى أثينا ستستغرق ساعتين وخمساً وأربعين دقيقة ، وهي من طراز ترايستار الضخم . وكنت في الدرجة الأولى التي تشبه قاعة جلوس ملك من ملوك التاريخ القديم المترفين .

وزاد شبهها بمجلس الملك القديم المترف بل الخليفة (المقتدر) ما حفلت به من أنواع التكريم والترفيه من شراب تسعى به حسان ، أو طعام ضم ألوانًا إلى ألوان قد جلبوه من سائر القارات وخيروك فيه بين مالذ وطاب من صيد البحر أو قنص البر أو تربية الصحاري والبراري .

وقد غدونا نتلقى ذلك وكأنه أمر قد عاشه الأجداد ، مع أنه لم يتهيأ لهارون الرشيد ، ولا لأي ملك مثله (سعيد) وناهيك بهذا القصر الفخم الطائر الذي يبردونه مادام على الأرض ثم يدفئونه إذا حلق في الجو ، بل إنهم يكيفونه وفق ما أردت واحتجت من هواء كافٍ لك وأنت قد صعدت في السماء وسوف يغدو صدرك بدون ذلك ضيقًا حرجًا لايهنأ لك مقام فضلاً عن الطعام في هذا القصر الفخم الطائر .

في مطار أثينا :

أول ما يلفت نظر القادم بالطائرة إلى أثينا الأعداد الكبيرة من الجزر التي تقع في المنطقة الجنوبية من اليونان قبل الوصول إلى المطار إذْ يجد أكثرها ذات مظهر صحراوي أو غير أخضر إذا كان في ذهنه أنه قادم إلى بلد أوروبي وأن أوروبا ذات أرض خضراء ، ومنها اليونان .

فبعض هذه الجزر ذات مناظر تكاد تكون قاحلة لاسيما في نظري أنا الذي قدمت قبل مدة قليلة من جنوب آسيا الشرقي وتوغلت في اندونيسيا حتى زرت أماكن في

جزيرة بورنيو الاستوائية الكثيفة الأشجار ومنها مدينة بونتيانا عاصمة ولاية كلمنتن الغربية وكلمنتن اسم اندونيسي وطني لجزيرة بورنيو ويقع خط الاستواء على بعد ٢٠ كيلو متراً من هذه المدينة. وقبل ذلك بقليل كنت في أمريكا الجنوبية حيث زرت فيها عدة أماكن في البرازيل وبوليفيا وبارغواي.

ثم كثرت الجزر اليونانية بالقرب من العاصمة والكبير منها معمور مسكون.

أما الساحل اليوناني مما يلي العاصمة فإنه يبدو قليل الخضرة لايكاد يفرق المرء بينه وبين الساحل السوري وهو من الطائرة أقل خضرة من الساحل اللبناني. وأكثر ما في الساحل المعمور قبيل الهبوط من المطار شجر الزيتون الذي ينمو بكثرة هناك ولليونانيين ولع بغرسه عظيم حتى بلغنا أن غرسه إجباري في بعض الأماكن.

وفي ضواحي العاصمة والأماكن القريبة المعمورة فيها أبنية متعددة الطوابق (عمارات) متباعدة تنتشر بينها أشجار الزيتون وأشجار قليلة أخرى من أشجار الظل، وليس فيها بيوت صغيرة متلاصقة أو متقاربة ولا حقول زراعية.

ومع أنه ظاهر من حالة ذلك كله أنه نظم بطريقة مرسومة، فإن تخطيطه لا يظهر فيه الذوق الفني الرفيع الموجود في الضواحي الباريسية مثلاً أو حتى الموجود في ضواحي مدينة (برازيليا) عاصمة البرازيل.

هبطت الطائرة في الساعة الخامسة إلاّ ربعًا عصراً بتوقيت «أثينا» الصيفي الذي هو موافق لتوقيت المملكة العربية السعودية في مطار يقع في منطقة شبه صحراوية فالحشائش التي تحيط بمدارجه هي حشائش جافة في جو ضاح بل شامس.

ووجدنا في الاستقبال عند باب الطائرة السفير السعودي النبيل عبدالله الملحوق وقد حضر إلى سلم الطائرة بسيارة السفارة مهليًا مرحبًا جزاه الله خيراً ثم صحبنا إلى قاعة كبار الزوار التي يسميها بعضهم (صالون الشرف) بينما كان أحد موظفي السفارة مع مدير الخطوط السعودية في أثينا وغيره يسعون في تخليص الأمتعة والحقائب والختم علي الجوازات مع أنها جوازات معتادة فقد كانت الخطة في هذه الزيارة أن أترك جواز سفري السياسي وأن استبدل به جوازاً معتاداً إمعانًا في إبعاد الصفة الرسمية عن زيارتنا

إلى أقطار أوروبا الشرقية التي هي بلاد شيوعية لاتربطها ببلادنا السعودية علاقات رسمية.

وكنت أتمنى غير ذلك بأن لا يكون في استقبالنا أحد من الرسميين حتى أستطيع أن أرى كيف يتصرف هؤلاء القوم الذين قال بعض العرب فيهم إنهم عرب يلبسون (البرانيط) يريد بذلك أنهم لايكادون يختلفون عن العرب إلا في عادة لبس القبعات وذلك لقرب شبههم بالعرب.

في مدينة أثينا :

سارت السيارات من المطار قاصدة فندقًا في قلب المدينة من فنادق (هوليداي إن).

وكنت أتمتع بمعاودة رؤية هذه المدينة الأوروبية العريقة بعد فراق بلغ أربع عشرة سنة إثر زيارة كانت الزيارة البعيدة وهي الوحيدة إلى أثينا إذْ لم أجد فيها ما يغريني بتكرار زيارتها منذ ذلك الحين، كما أنه لم تكن بي حاجة من عمل إلى ذلك، وكنت أتمتع في الوقت نفسه أكثر من ذلك بحديث صديقنا وسفيرنا الأستاذ عبدالله الملحوق وهو حديث الخبير بأحوال هذه البلاد وعلاقة أهلها بالبلدان العربية.

وأما النظرة العامة إلى ما رأيته من حال المدينة فإنها تدل على عدم الخصب في الجو وقلة العناية في التنظيم والتجميل، وإن كان لايقال فيها إنها غير جميلة فهي متوسطة في مظهرها كما أن الشعب اليوناني ذا الحضارة العريقة الباهرة هو في منزلة وسط من مدارج الحضارة الحالية و(لله في خلقه شئون).

عندما وصلنا إلى الفندق كان أول ما أسترعى انتباهنا كثرة العرب فيه كثرة عجيبة تبين بعد ذلك أنها ليست وقفًا على الفندق، وإنما هي شاملة للفنادق والمطاعم والمتنزهات في هذه المدينة.

حتى لقد أجمع رأينا أو كاد على أن العرب هم أكثر أجناس السياح فيها لأنهم هنا من كافة الأقطار العربية، وإن كان أهل الخليج تكاد رؤيتهم تتغلب على رؤية غيرهم وخاصة السمرة الظاهرة في وجوههم والزي الساتر المميز لنسائهم.

في المســـاء :

قبل الغروب ذهبنا في مشي طويل على الأقدام إلى القلب التجاري للمدينة حيث المحلات التجارية الكبيرة وحيث المقاهي والمطاعم والشوارع المزدحمة، وبعد التعب من السير جلسنا في مقهاة مزدحمة نرقب السائرين العابرين والجالسين القارين، فكان الانطباع عن اليونانيين أهل البلاد أنهم لايبتعدون عن العرب كثيراً حتى إن المرء لايميزهم عن سكان البلاد العربية الشمالية كسورية ولبنان وتونس إلا إذا تحدثوا.

ولذلك يشعر المرء بأن اللغة العربية ليست غريبة هنا فلايكاد يخلو وقت من الأوقات من كلمات عربية تقرع سمعه، إضافة إلى ما لاحظناه من أن كثيراً من الباعة يحفظون قليلاً من الكلمات العربية المتداولة، وذلك بسبب كثرة معاملتهم السائحين من العرب.

كما لاحظنا أن السحنة العربية لاتخفي على أحد هنا، والإعلان بالعربية أمر شائع وبخاصة على بعض المطاعم والمتاجر الكبيرة.

يوم الأربعاء ١٤٠٥/١٠/٢٩هـ ١٩٨٥/٧/١٧م :

مشكلات سمات الدخول :

كنا على هم عظيم من الحصول على سمات الدخول إلى هذه الأقطار الأوروبية الشيوعية لأنها كلها ليست لها علاقات سياسية أو حتى اقتصادية رسمية مع بلادنا.

وكانت الصدمة الأولى لدى سفارة ألبانيا وإن كانت صدمة متوقعة إذْ اتصل السفير السعودي الأستاذ عبدالله الملحوق بالسفير الألباني هنا وطلب أن يمنحنا إذناً بالدخول إلى ألبانيا، فأجاب السفير بأن حكومته لاتمنح تأشيرات لرجال الدين وهو لايستطيع ذلك، ومع ذلك يمكنه أن يكتب إلى حكومته يستأذنها وسوف يرد الرد بعد وقت طويل بعدم الاستجابة.

والصدمة الثانية لدى سفارة بولندا، وبولندا بلد سياحي كما هو معروف ولم تقل السفارة البولندية: إن ذلك غير ممكن ولكنها قالت إن التعليمات التي لديها تنص على أن رعايا البلدان التي لايوجد لها علاقات سياسية ببولندا يحتاج منحهم السمات إلى إذن من وزارة الخارجية البولندية، ويحتاج ذلك إلى انتظار مدة نصف شهر على الأقل.

أما أحسن سفارة معاملة وأسهلها منحاً للسمة فهي سفارة المجر فقد منحونا السمات بسرعة وسهولة ووضعوها خارج الجواز إذْ اعتاد بعض الناس من البلدان التي لاتسمح لرعاياها رسمياً بزيارة الأقطار الشيوعية أن يطلبوا أن تكون سمات الدخول في أوراق منفصلة تستعاد عند مغادرة البلاد.

ولكننا لسنا منهم لأن سفرنا إلى هذه الأقطار الشيوعية هو بعلم من حكومتنا بل بإذن وتأييد منها لأنه لغاية نبيلة شريفة وهي مساعدة الأخوة المسلمين في أقطار شرقي أوروبا ومعرفة كيفية العمل لذلك.

وكانت السهولة الثانية لدى سفارة يوغسلافيا إذْ أنهوا السمات على جميع الجوازات وهي ستة في مدة قصيرة ولم يطلبوا صوراً ولا تعبئة استمارات.

وقالت سفارة رومانيا : إنكم يمكنكم الحصول على (التأشيرات) السياحية من المطار

أو من الحدود وهكذا أسرع الرفاق وحجزوا للسفر غداً الخميس مع طائرة للخطوط اليوغسلافية تسافر في الصباح الباكر .

منطقة المنتزهات :

تركنا فندقنا (هوليداي إن) في وسط المدينة قاصدين منطقة المنتزهات على ساحل البحر وتبعد عن الفندق ٤٠ كيلو متراً وذلك في الخامسة والنصف عصراً وقد بقي على غروب الشمس ثلاث ساعات إذ هي تغرب في الثامنة والنصف في هذا الوقت .

وكان أول ما استرعى انتباهنا عند الوصول كثرة العرب فيها كما كانوا كثرة في قلب مدينة أثينا ، وإن كانوا هنا أقل وبخاصة الأسر منهم لأن هذه منطقة بحرية يغلب فيها ظهور النساء بالملابس التي تلبس في المصائف والشواطئ في العادة وإن لم يكن ذلك بالقاعدة العامة .

ووجدت في هذه المنتزهات بعض اللافتات الصغيرة بالعربية وصحف عربية للبيع ، وقد لبثنا إلى ما بعد غروب الشمس وتعشينا في أحد المطاعم التي كانت مكتضة بالناس بأسعار لابأس بها فاليونان لاتعتبر بلاداً غالية وهذا من أسباب إقبال السياح عليها .

وتمتد هذه المتنزهات والمناطق السياحية على شواطئ البحر وبعضها يؤجر شققاً أو منازل مستقلة وقد اشترى بعض الأثرياء من البلدان العربية مساكن فيها لأنها بلاد قريبة من البلدان العربية وهي سياحية ، والأمن فيها لابأس به .

وبلغنا أن الحكومة هنا تشجع على امتداد العمارة على شواطئ البحر هذه وتلزم من أراد أن يبني فيها بيتاً بأن تكون له حديقة مغروسة بأشجار من أشجار الزيتون وفق مساحة معينة لايجوز أن تقل عنها . وتساعد على غرس الأشجار بأن ترسل من جهتها خبراء يتولون ذلك .

يوم الخميس ١٩٨٥/٧/١٨م

من أثينا إلى بلغراد :

غادرنا فندقنا في قلب مدينة أثينا في الساعة الخامسة إلا ربعًا والوقت لايزال فجرًا ولم نصل الفجر بعد.

ودفعنا أجرة الفندق للغرفة الواحدة للشخص المنفرد ستة وأربعين دولارًا أمريكيًا وهذه أجرة معتدلة.

واخترقنا المدينة إلى المطار وكانت السيارات في هذا الوقت المبكر موجودة في الشوارع بصفة ملفتة للنظر وشوارع أثينا لاتتميز بسعتها، وإنما حرصوا على تجميلها إلا أنها دون شوارع أكثر المدن الأوروبية في هذا الشأن.

كانت إجراءات الترحيل في المطار سهلة رغم كثرة المسافرين وتكدسهم في المطار وأكثرهم رأيناهم نائمين على الأرض لأن المقاعد أقل من أن تستوعبهم وبعضهم من الركاب العابرين وبعضهم من القادمين الذين لايريدون أن يسكنوا في فنادق تحتسب عليهم الجزء المتبقي من الليل بأجرة ليلة كاملة.

وفي قاعة العابرين التي هي قاعة الترحيل الخارجية صلينا الفجر في زاوية منها على صحيفة عربية وجدناها ملقاة في ركن من القاعة ووجدنا الصحف العربية في مكتبات هذه القاعة بأعداد كبيرة وهي صحف من عدة بلدان عربية مما يدل على وجود مشترين كثيرين لها.

ومن مظاهر كثرة العرب أنهم كتبوا عند قاعة الترحيل جملة (مع السلامة) باللغة العربية.

وهكذا ودعتنا موظفة أرضية تعمل في الخطوط اليوغسلافية التي سنركب فيها بالعربية، «مع السلامة».

وجدنا الطائرة من طراز بوينج ٧٣٧ ولفت انتباهي أن يوغسلافيا وهي دولة شيوعية قد اعتمدت شراء هذه الطائرات الأمريكية الصنع واستعاضت بها عن الطائرات الروسية التي هي أرخص ثمنًا بالنسبة إلى من لهم معاملات تجارية مميزة مع الاتحاد السوفيتي

تفضيلاً لهذه الطائرات الأمريكية من حيث الجودة والصيانة على الطائرة الروسية.

وأما تنجيد الطائرة وحالة مقاعدها فإن ذلك دون المتوسط بكثير.

بل إن كثير من الشركات التي تتبع بلاداً نامية وغير متقدمة مثل تايلند هي أحسن منها تنجيداً وأنظف مقاعد، فضلاً عن وسائل الراحة الأخرى.

وكانت تذاكرنا مقطوعة على الدرجة الأولى وأفهمونا أن الطائرة فيها درجة أولى ومع ذلك لم نجد فيها إلا السياحية فاكتفوا من ذلك بأن أجلسوا بعضنا في الصف الأول الذي هو مؤلف من ستة مقاعد كل ثلاثة على جهة مثل مقاعد الدرجة السياحية.

وكان المفروض أن يعطونا ما يثبت بأنهم أركبونا في السياحية حتى نستعيد الفرق بين قيمة التذكرة في الدرجة الأولى وقيمتها في السياحية من الخطوط السعودية بعد العودة.

أعلن مكبر الطائرة أنها ستذهب أولاً إلى مدينة (سالونيك) في اليونان وأن مدة الطيران إليها ستكون خمساً وأربعين دقيقة.

والمضيفات في الطائرة كلهن من اليوغسلافيات الشقر غير أنه ليس على وجوههن شيء من الرونق أو النضارة وليس عليهن حتى الحلي الذي اعتادت النساء على لبسه في سائر أنحاء العالم.

ربما كان ذلك بسبب نقص الدخول في البلدان الشيوعيةأو بسبب عدم مبالاتهم باختيار النضرات الوجوه، الحسان المظاهر للعمل في طائراتهم.

وقد عرفنا بعد ذلك أن الشيوعيين لايبالون بذلك كثيراً، لأن معظمهم يكونون مشغولين بمعايشهم اليومية، ومتطلبات حياتهم التي تقل عنها رواتبهم المحدودة بحدود لايستطيعون تجاوزها.

وقد امتلأت الطائرة بالركاب. بعضهم من السائحين ذوي المظهر الأوروبي الغربي وبعضهم من ذوي المظهر السلافي الذي سيأتي الكلام عليه.

وأكثر هؤلاء يكونون قد غادروا بلادهم طلباً للعمل في البلدان الأجنبية، فيوغسلافيا هي أكثر الدول الشيوعية في أوروبا الشرقية التي تسمح لرعاياها بالخروج للعمل في الخارج، بشكل يكاد يكون كالمعتاد في البلدان الرأسمالية.

وقد قامت الطائرة في السابعة إلا ثلثًا متأخرة ثلث ساعة عن الموعد المقرر.

دارت الطائرة بعد قيامها وهي ترتفع في الجو فوق منطقة أثينا، وبدت التلال الغُبْر – جمع غبراء – التي تحيط بها فذكرتني ببيتي يحيى بن طالب الحنفي في بلدته البرة في اليمامة. مع الفارق في الوصف بالغبرة ما بين تلال اليمامة وتلال أثينا.

وقد ذر قرن الشمس فوق البحر القريب من أثينا والطائرة تحوم فوقها فبدت القوارب والسفن في مياهه كثيرة كثرة ملفتة، للنظر إلا إذا تذكر المرء أن نسبة من الشعب اليوناني تعمل في البحر وأن اليونانيين يعتبرون من البحارة ومالكي السفن أكثر من نسبة عدد السكان الذين هم قليلو العدد إذا قيس ذلك بعراقة بلادهم في التاريخ فهم لايزيدون في الوقت الحاضر على عشرة ملايين نسمة.

وفيهم عدد من المهاجرين الذين تركوا بلاد اليونان إلى بلاد أخرى في أنحاء العالم يكفي أن نذكر منها الولايات المتحدة الأمريكية والقارة الاسترالية.

وقال أحد الإخوة الذين جرى عندهم مثل هذا الحديث: ربما يكون أحد الصالحين قد دعا على أحد اليونانيين بقلة النسل لأنه لايعرف إلى أي سبب يرجع هذا الجمود السكاني لأمة عريقة في الحضارة، وقديمة الذكر في التاريخ، ومتقدمة في الطب في وقت كانت فيه كثير من الأمم لاتعرف من الطب شيئًا.

أسرعت المضيفات بإعداد مائدة الإفطار وكان ما يلفت النظر في إعدادها أنهن أحضرن منديلاً صغيراً من الورق وبسطنه على المائدة فقصر عنها بحيث لم يغط إلا جزءاً صغيراً منها، واستعضن به عن إحضار المناديل المنشأة المكوية النظيفة التي تحضرها بعض شركات الطيران حتى لركاب الدرجة السياحية.

ثم الضيافة التي وضعوها فوقه هي فنجان من الشاي أو القهوة أو من شراب خفيف ومع ذلك كيس صغير من النقل وهو هذا الفول السوداني.

في مطارسالونيك :

أخذت الطائرة تتدنى فوق البحر لتنزل في مطار (سالونيك) وأنا أحدث نفسي عما أصاب المسلمين من تقهقر بل تأخر في أزمانهم الحديثة فقد كانت مدينة سالونيك

والمنطقة التي تقع فيها تعتبر جزءاً من البلدان الإسلامية لأنها ظلت لعدة قرون من ممتلكات الدولة التركية المسلمة.

وأما الآن فإن الأمر لم يقتصر على خروجها عن بلاد المسلمين وإنما صارت الدولة اليونانية التي تتبعها تحاول أن تتحدى الدولة التركية فتتصدى لها ولتعليل ذلك يكفي أن تصدر كلمة واحدة كانت توصف بها الدولة التركية أمام عزها ومجدها وهي (الإسلامية) أما في زمان الإدبار والانحسار هذه التي يعيشها الأخوة الأتراك في الوقت الحاضر فإن تلك الصفة قد انتفت عنها رسمياً بشهادة دستورها.

بل لو أن سياسيًا تركيًا أو حتى مصلحًا اجتماعيًا خلع على الدولة التركية نعت الإسلام، لقام بعض حملة الأعلام فيها فضلاً عن ضعيفي الإسلام من الساسة العسكريين يهددونه ويتوعدونه وقد يصل الأمر به إلى ما وصل برئيس الوزراء السابق (عدنان مندرس) رحمه الله الذي أهانوه ثم قتلوه لأنه يزعمهم سعى إلى أن يعيد الدولة التركية إلى الإسلام. أليس هذا من العجب العجاب؟

يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حَسناً ما ليس بالحَسَن

ولئن عجزت قوة الدولة اليونانية المادية أن تقارع القوة المادية للدولة التركية مواجهة في ساحة القتال فإنها تكن لها الآن العداء وتبيت على الحقد الدفين حتى إن المسلمين الذين بقوا في بلاد اليونانيين حتى هذا الحين يكادون يعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية ليس لهم ما لأكثرية السكان من غير المسلمين من الحقوق. لأنهم قد اعتبروهم من الغرباء البعداء، أو هم من الذين يحبون أعداءهم الألداء.

وعندما تجاوزت الطائرة البحر وصارت تطير فوق اليابسة كان المنظر تحتها منظر الحقول المزروعة الخضر بينها بقع متروكة لكي تخصب أو لكونهم يريدون أن يزروعوها بزراعة أخرى.

وبدت أرض اليونان هنا ذات خلجان تحف بها أراض أكثر خضرة من الأراضي الواقعة، في منطقة العاصمة (أثينا).

وقبل النزول في المطار كانت المنطقة. تلالاً جبلية متقاودة أي تشبه التلال المصطفة، وأكثر الحقول هي حقول من القمح الحصيد.

حطت الطائرة في السابعة والربع في مطار جميل الموقع بقرب خليج يطل عليه جبل قد أبعد عنه فهو لا يحاصره.

وقد أعلنت مضيفة الطائرة باليوغسلافية والإنجليزية عن النزول في المطار وأنهم يرجون من الركاب الذين سيواصلون السفر معهم إلى بلغراد أن يبقوا داخل الطائرة.

وقد لاحظنا وجود حظائر عديدة للطائرات الحربية في هذا المطار مما لم نلاحظه في مطار أثينا وربما كان سبب ذلك قرب مدينة (سالونيك) من الحدود التركية.

وكذلك رأينا الحشائش البرية التي تحف بمدارج المطار أكثر خضرة وأنضر مما هي في مطار أثينا، وقد فتحت أبواب الطائرة وتوقف التكييف فيها ربما كان ذلك طلبًا للتوفير في النفقة فشعرنا داخلها بحر شديد لم نكن نتوقعه.

أما المطار فإن مدارجه جيدة وإن لم تكن ساحة وقوف الطائرات فيه بالغة السعة.

ومن الملاحظ وجود أشجار الزيتون في الأماكن القريبة منه بل حتى في بعض الأماكن التي تحف به وذلك من واقع حرص اليونانيين على الإكثار من غرس الزيتون ويقولون إنهم يعتبرون شجرته شجرة مباركة. فذكرت الآية الكريمة ﴿**الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار..**﴾.

والشاهد من إيراد الآية الكريمة هو وصف الزيتونة بأنها شجرة مباركة.

ثم قامت الطائرة في الساعة الثامنة إلا عشر دقائق بعد أن لبثت خمسًا وثلاثين دقيقة في مطار (سالونيك).

وقد امتلأت بالركاب أيضًا وصارت عند قيامها مباشرة تطير فوق مدينة (سالونيك) نفسها فبدا قلب المدينة مؤلفًا من أبنية متعددة الطوابق (عمارات) وهي متقاربة بخلاف ما عليه الحال في ضواحي أثينا حيث تتباعد تلك الأبنية ويملأ الفراغ ما بينها بأشجار الزينة والزيتون.

وتؤلف المنطقة أخواراً وهي الخلجان الصغيرة متعددة جميلة المنظر، ورأينا مدينة (سالونيك) كبيرة ممتدة العمارة.

ثم قدموا فطوراً معتاداً في الطائرة مؤلفًا من الجبن والعسل والزبدة والشاي ولم يقربه لحم الخنزير ولا أدري أذلك بالنسبة لنا أم للجميع، إذْ لم يكن بجانبي في الصف الأول من الطائرة جيران.

الأرض اليوغسلافية والذكريات:

كان قد ران غيم ثقيل على ما تحت الطائرة من الأرض فبتنا مدة لانبصر منه شيئًا.

وعندما تدنت الطائرة تجلت الأرض اليوغسلافية خضرة شديدة الاخضرار، تشبه الأرض الاستوائية الريانة، بل هي تشبه أرض البرازيل والأرض الاندونيسية وكلتا الدولتين فيها أقسام من المناطق الاستوائية.

وقارنت في ذهني بينها وبين الأرض اليونانية فكان الفرق واسعًا بل شاسعًا فالأرض اليوغسلافية أرض خضراء نضيرة تكاد تجزم بأنها في منطقة مطيرة والأرض اليونانية وبخاصة حول العاصمة تكاد تقول إنها بلاد صحراء قتيرة.

ولم تكن هذه المقارنة بذات بال عندما طرأت على ذهني مقارنة أخرى لصورة ظلت حبيسة في الخيال لسنين طوال.

ألا وهي منظر الأرض وحالة الطقس في يوغسلافيا عندما زرتها أول مرة وهي آخرمرة قبل زيارتي هذه لها وكانت لمرة واحدة مضت عليها ثلاث عشرة سنة.

كان وقت الزيارة في قلب الشتاء من أواخر شهر ديسمبر، وكانت أرضها كلها ميتة قد لفتها أكفان ثلجية مظاهرة حتى لاتكاد ترى فيها عوداً أخضر، ولاشيئًا ناميًا من الأرض حتى الأشجار كانت كلها قد تجردت من أوراقها حتى كادت تتجرد من أغصانها، وكاد يجزم الغريب الذي يراها وهي كذلك أنه لن يكون لها من نشور فيما يأتي من الشهور.

وكانت درجة الحرارة أو لنقل البرودة في بلغراد عندما وصلناها هي ثماني عشرة درجة مئوية تحت الصفر.

أما الآن فإن الجو فيها هو جو الربيع ، وهذا هو ما نلاحظه الآن من خضرة الأرض وازدهارها وقد شملت الخضرة الزاهية روابي البلاد ووهاءها وكانت شاملة تبين فيمابعد أن طائفة منها هي لحقول خضراء من الذرة أو غيرها من الحبوب .

أما خضرة التلال والوديان الضيقة فهي من أشجار الغابات الملتفة وزاد المنظر جمالاً أن سقوف المنازل فيها أكثرها حمر جميلة المنظر وهي ترقش هذا البساط الأخضر .

ثم بدا نهر الدانوب الذي كان صلة حروب ولغوب بين الشعوب التي كان تسكن حوله في قديم الزمان ثم أصبح صلة وصل تركبه السفن وتحمل على متنه البضائع إلى أن جاءت المدنية الحديثة له بالبوار حينما أخذت الدول الصناعية الواقعة على ضفتيه تتنافس في صرف السموم التي تتنفثها مصانعها والفضلات الكيماوية المهلكة التي تريد أن تتخلص منها إليه .

ومع ذلك فإن هذا الأمر لايبدو ذا بال من الطائرة ، وإنما يرى المرء نهر الدانوب ، ورصيفه نهر (ساوا) وهما يكتنفان العاصمة اليوغسلافية ثم يمتزجان في أحضانها حتى يصبحا دانوبًا أكبر بعد أن كانا دانوبًا معتادًا .

في مطار بلغراد :

اتسعت الحقول الزراعية مع اقتراب الطائرة من المطار حتى لايرى المرء من الأرض شيئًا غير مزروع ولو كان قليلاً وحق لهم ذلك لأنهم يكونون محرومين من الانتفاع بالأرض في الشتاء ، بسبب الثلوج يجتهدون في استخلاص ما يستخلصونه منها في الصيف .

وبدت مدارج المطار بل بدا المطار كله كأنهم قد أقاموه في حقل واسع بل في بسقان هائل من الأعشاب التي تحف بالمدارج تبدو من خضرتها وارتفاعها والتفافها كأنها الحقول المزروعة المعتني بها .

وقد أزهرت هذه الحشائش أو الأعشاب البرية النامية بزهيرات برية – نسبة إلى البر – بريئة في بلاد شيوعية لاتعرف البراءة من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، وتراء لي من منظر هذه الزهيرات الوحشية أنها تشبه زهيرات الأعشاب البرية في صحرائنا العربية ،

إبان فصل الربيع ، وإن كان ربيعنا يختلف عن ربيعهم فربيعهم هو صيفنا وشتاؤنا هو ربيعهم وشتاؤهم هو الموت والخمود بل الهمود لأرضهم .

وقد أعلنت المضيفة أن درجة الحرارة في بلغراد هي اثنتان وعشرون درجة وهذه درجة ربيعية ناعمة .

وعندما كانت الطائرة تدرج فوق أرض المطار لاحظت وجود تشققات كثيرة في الأسفلت تحتها ربما كان يرجع ذلك إلى التفاوت ما بين درجة البرودة في الشتاء التي وصلت إلى ثلاثين درجة تحت الصفر في الشتاء الماضي وبين درجة الحرارة التي بلغت ستًا وثلاثين في بعض الأيام في صيف هذا العام .

أو يكون ذلك ناتجًا عن سوء في نوع الأسفلت أو في طريقة إعداده وعمله وقفت الطائرة أمام دهليز متحرك ألقموا بابه باب الطائرة فنزلنا في أبنية متسعة لم تكن موجودة عندما رأيت مطار بلغراد قبل ثلاث عشرة سنة .

ووجدنا صديقنا الشيخ (حمدي سباهيتش) مفتي بلغراد في الانتظار داخل المطار مع ابنه محمد في المنطقة التي تسبق الدخول إلى الجمرك وإلى الجوازات وهي منطقة لايدخلها إلا رجال مأذون لهم ، وقد أخبرنا أنه فعل ذلك لكونه معروفًا في هذه البلاد ولأنه أخبرهم أننا وفد رسمي من رابطة العالم الإسلامي سيقدم إلى بلغراد .

وكان لوجوده أثر حسن في نفوسنا فقد كنت أحمل معي مبلغًا جيدًا من المال بالدولارات الأمريكية إضافة إلى ما يحمله كل واحد من الرفاق من مال يعتبر وفيرًا في هذه البلاد الشيوعية التي يعاني سكانها من الفقر والعسر في الأمر .

ولكن أخانا الشيخ (حمدي سباهيتش) جزاه الله خيرًا سارع يرفع من قدرنا عند القوم حتى سمحوا بمرور أمتعتنا كلها من دون تفتيش وإنما اكتفوا بالسؤال عن وجود بعض البضائع الممنوعة وأدخلوا بعضها تحت فاحص كهربائي . فأخبرناهم أن معنا نقودًا بالعملة الصعبة فهل يتوجب علينا أن نعلن عن مقدارها؟ فقالوا : لا حاجة إلى ذلك .

وكان المرور من عند ضابط الجوازات قبل ذلك أعجب إذْ لم يعطونا في الطائرة ولا في المطار بطاقات القدوم المعتادة التي يملأها القادم إلى البلاد ولم يكونوا قد أخذوا منا مثلها عندما منحونا سمة الدخول .

وإنما اكتفى ضابط الجوازات بإلقاء نظرة عجلى على الجوازات ثم ختمها بخاتم خفيف . وكانت هذه إجراءات سهلة بل تكاد تكون أسهل الإجراءات التي مررت بها في مطار من مطارات القارات الست منذ سنين . وقد قدر لي أن أزور العالم جله إن لم يكن كله ، ولله الحمد .

وفي المطار صرف أحد الإخوة الدولار بمائتين وسبعين ديناراً يوغسلافياً وكنت عهدت قيمة الدولار عند زيارتي الأولى ليوغسلافيا ثمانية عشر ديناراً ونصفاً ، فقد زاد صرف الدولار ، أو لنقل إنه نقص صرف الدينار – سيان – أكثر من عشر مرات أو لنقل إنه نزل إلى أسفل من عشر دركات وارتفع الدولار أكثر من عشر درجات .

في مدينة بلغراد :

ركبنا سيارة الأخ الشيخ (حمدي سباهيتش) التي يقودها بنفسه وهي ألمانية من طراز (مرسيدس) كما استأجرنا سيارة أجرة لبعض الرفاق ركب معهم ابنه محمد الذي يعرف العربية جيداً .

وقصد بنا فندقاً سياحياً اسمه (فندق يوغسلافيا) قال إنه قد حجز فيه لنا غرفاً حسبما أخبره الإخوة الذين هتفوا به يخبرونه بقدومنا .

كانت خضرة الطريق ما بين المطار والمدينة مطبقة وأخبرنا الأخ الشيخ حمدي أنها كلها حقول ومزارع للحبوب ، وأكثرها الآن الذرة لأنها التي تنمو في فصل الصيف القصير ولايحتاج نضجها إلى وقت طويل .

وعرفنا أن أكثر هذه الحقول وما كنا قد رأيناه من الطائرة واسعاً ممتداً كله من ممتلكات الدولة أو على حد تعبير الشيخ حمدي: من الممتلكات العامة ولا فرق بين ملك الدولة والممتلكات العامة لأن الدولة هي مالك عام .

وإن كان قال : إن بعض الناس لديهم مزارع صغيرة المساحة في الأرياف إما أن يكونوا ورثوها من أقارب لهم أو أن يكونوا قد اشتروها من ملاك صغار كانت الدولة قد سمحت بتملكهم لقطع صغيرة من الأرض .

وجدنا الفندق ضخماً كبير المساحة كثير الغرف متعدد الطبقات .

إلا أنها كلها أو أكثرها ليست واسعة بل هي مهيئة للسياح الذين لايريدون الغرف الغالية فالغرف المفردة يكون في الغرفة سرير واحد لايتسع إلا لشخص واحد وخزانة واسعة للملابس ومقعد مستطيل يصلح لئن يتحول إلى سرير مؤقت للنوم أو لمجرد استراحة من قد يضيفهم النزيل.

إضافة - بطبيعة الحال - إلى الحمام الخاص والثلاجة الصغيرة والمرافق الأخرى. وأجرة كل غرفة من هذه الغرف المخصصة لشخص واحد (٦٤) دولارًا أمريكيًا في الليلة يدخل في ذلك طعام الإفطار.

ويقع الفندق خارج المدينة القديمة في ضاحية حديثة على نهر (ساوا) يتبعه مقاهٍ ومقاصف ممتدة على امتداد النهر ومطاعم عدة كل مطعم منها يؤدي خدمات معينة للسياح.

وقد بقيت في استراحة في الفندق بينما ذهب بعض الرفاق إلى سفارات الدول التي لم نستطع الحصول على سمات لها من أثينا وهي بولندا ورومانيا وبلغاريا يسعون في الحصول على سمات دخول إليها. فأما بولندا فأخبرونا بما أخبرتنا به سفارتهم في أثينا من أنه لابد من استئذان الحكومة البولندية وأن ذلك يحتاج إلى أسبوعين على الأقل.

وأما سفارة رومانيا فقالت كما قال قنصلهم في أثينا يمكنكم أن تأخذوا ذلك من الحدود أو من المطار عند وصولكم إلى رومانيا.

وأما بلغاريا فإنها منحتنا تأشيرة مرور محددة بثلاثين ساعة فقط وقالت إن هذا هو كل ما يستطيعون أن يعطوه أمثالنا.

إلى جامع بلغراد:

أصر أخونا الشيخ (حمدي اسباهيتش) مغتي بلغراد جزاه الله خيرًا على أن نتناول الغداء عنده هذا اليوم في جامع بلغراد. وكنت أظن أن ذلك سيكون في مطعم إسلامي صغير كان موجودًا هناك عندما زرت يوغسلافيا لأول مرة وكنت أجد حرجًا في الأكل من المطاعم العامة فكنت اذهب إلى هذا المطعم مع رفيقي في تلك الرحلة آنذاك

الأستاذ محمد العثمان العمر الذي كان يعمل في الإدارة المالية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وكنت أعمل أمينًا عامًا للجامعة.

وكنا في بعض الأحيان إذا وصلنا المطعم وجدنا الطعام قد انتهى منه وأحيانًا لا نجد فيه لحمًا وهو الذي تعودنا أكله فيه لأنه كان يخيل إلي آنذاك أن الشعب كله من الشيوعيين مثل حكومة البلاد وقد تيقنت بعد ذلك أن عدد الشيوعيين الذين يعلنون تمسكهم بالشيوعية قليل جدًا بالنسبة إلى باقي السكان كما أن الذين يعتقدون الشيوعية حقيقة ويصرون على اعتناق مبدئها العريق في الإلحاد هم أقل من ذلك بكثير وأن كثيرًا من الذين يعلنون الشيوعية يفعلون ذلك تقربًا للدولة الشيوعية يريدون بذلك الحصول على المناصب، أو الإستفادة من النفوذ عند المسئولين الشيوعيين وبوساطتهم.

ولذلك لا يصح الاعتقاد بأن جميع الذبائح التي تذبح في هذه الأقطار الشيوعية هي حرام إلا إذا عرف المرء أن من عادة الناس أن يخنفوا الذبائح أو يميتوها بطريقة غير طريقة الذبح التي ينتج عنها إنهار الدم مع مكان الذبح فإن ذبائحهم تكون حرامًا.

وقد عرفت الآن أن التدين لا يزال موجودًا في نفوس الناس وأحيانًا في أفعالهم رغم معاداة الدول الشيوعية بطبيعة نظامها للأديان عامة كما عرفت ذلك من ثبات الإخوة المسلمين على إسلامهم أو مواظبتهم على أداء شعائر دينهم.

ركبنا مع الأخ الشيخ (حمدي) على سيارته التي يقودها بنفسه وهي سيارة أخرى غير السيارة الألمانية التي كانت معه عندما استقبلنا في المطار وقال في تعليل ذلك إن هذه السيارة هي لزوجتي وزوجته مصرية تزوج بها عندما كان يتلقى العلم في الجامع الأزهر. وكان قد ذكر لي أنها تساعده على بحوثه العلمية لأنها متعلمة أيضًا. وقد رزق منها بغلامين أكبرهما محمد وبطفلة.

دخلنا إلى البيت الملاصق لجامع بلغراد وكان يسكنه عندما زرته في المرة الأولى وتناولت فيه طعام الغداء في ذلك الحين وهو تابع للجامع وأخبرني أنه الآن يسكن في بيت آخر وقد ترك سكنى هذا البيت وأنه يسكن فيه بعض الأخوة القائمين على شئون الجامع، والشيخ (حمدي) بحكم عمله مفتيًا لبلغراد يشرف على شئون المسجد الجامع وقد أخذوا يسمون المسجد والبيت الذي يتبعه والحديقة المحيطة به بالمركز الإسلامي.

جلسنا في هذا البيت فجددت به عهداً قديمًا لم يكن كذلك بالنسبة للشيخ حمدي نفسه فقد تكررت رؤيتي له في المملكة العربية السعودية وفي خارجها أثناء بعض المؤتمرات الإسلامية كما أنه عضو في المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

وقدم الغداء فكانت فاتحته شربة حارة بالشعيرية وهي حارة رغم أن الجو في البيت كان حاراً تضايقنا من حرارته فلم نبق من الأثواب، إلا القميص مع السروال.

وتذكرت المرة الأولى الذي دخلته فيه وأنا أكاد أضيع في كتلة متحركة من اللباس حجمها مجتمعة يفوق حجمي وربما تخيلت أن وزنها لايبعد كثيراً عن ذلك وكنا قد أخذنا عادة عرفناها منهم وشرحها لي الشيخ حمدي نفسه آنذاك عندما دخلنا هذا البيت الذي كانت المدافيء مشتعلة فيه مثل سائر الأماكن العامة والخاصة إذْ لايمكن الحياة المريحة بدونها.

كان الشيخ (حمدي) قد قال لي: إنه يجب على من يدخل من الشارع إلى المنزل الدفيء أن يخلع كل مايمكنه خلعه من الملابس الخارجية الثقيلة لأنه إذا لم يفعل ذلك فإنه يصاب بالحر الشديد في المنزل فإذا خرج إلى الشارع وبرده شديد أصيب بالبرد فكنت أول ما أصل أعلق المظلة التي تكون في يدي أتقي بها نزول الثلج الذي كان ينزل ثم أخلع طرطوراً صوفياً كنت أضعه على رأسي أتقي به البرد ثم أبعد (اللقاع) عن رقبتي ثم أنزع المعطف الثقيل (البالطو) وأعلقه على المشجب ثم أخلع القفازين من يدي وأضعهما في جيبي المعطف. ويبقى الخفان وهما ينزعانه في أكثر الأحيان فهما يكونان موحلين من الثلج والبلل.

أما الآن فقد نزعت السترة (الجاكيت) وحللت رباط العنق للتبرد لا من أجل الخوف من غائلة البرد. (وسبحان مغير الأحوال).

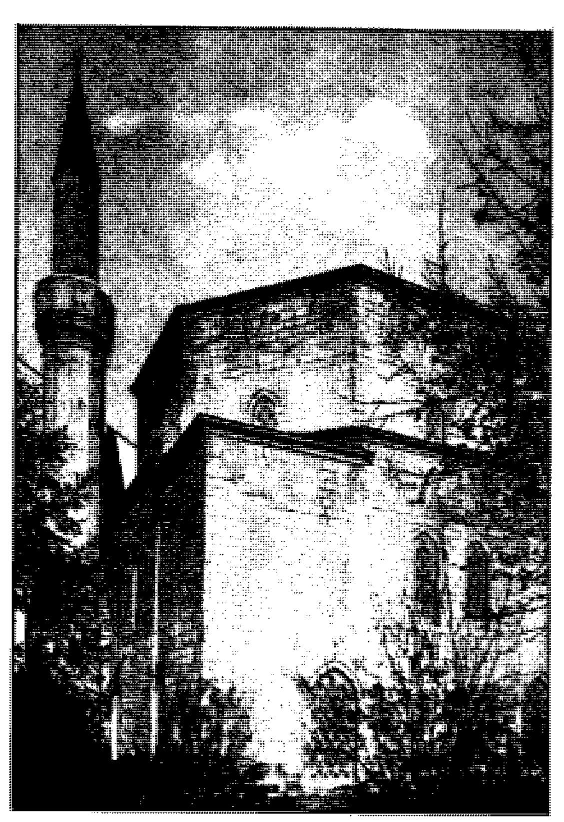
وضمت المائدة لحمًا من لحم البقر الموجود في هذه البلاد بكثرة بسبب وفرة المراعي وقد أخبرونا أنه رخيص فيها ومعها عدو المجاعة في البلدان الباردة (البطاطس) ثم السلطة الممتازة التي عمادها الطماطم الذي لم يكن يوجد في الشتاء إلا محفوظًا أو مستنبتًا في بيوت زجاجية محمية ويكون غاليًا جداً في ذلك الفصل.

وكان ختام المائدة شراباً من شراب النعناع أو قد يكون نوعًا منه يختلف عما هو موجوداً عندنا بعض الاختلاف وفناجين من قهوة جيدة.

وكان الأجود من ذلك حديث أخينا وصديقنا الشيخ حمدي الذي هو بطبيعته محدث لايكل عن الحديث. وحضر المائدة معنا بعض الإخوة من المسلمين وكانت التي تقدم الطعام إمرأة قال: إنها من المؤلفة قلوبهم وإنها مسلمة حديثة الإسلام.

في جامع بلغراد:

لم أكد أعرف شارع المسجد عندما وصلت لأنني كنت قد عهدته خاليًا من أوراق الأشجار في الشتاء وقد رأيته الآن يكاد يكون مظلماً من أغصان أشجار مغروسة على جانبيه تظلل مساحات واسعة من أرصفته وكانت تلك الأشجار كلها جردا في ذلك الوقت.



جامع بلغراد

بني هذا المسجد عام ١٥٢١م بناه الأتراك وكان مسجداً واحداً من مائتين وسبعين مسجداً كانت موجودة في مدينة بلغراد وضواحيها إبان الحكم التركي وقد قضى التعصب الديني للنصرانية على تلك المساجد كلها ولم يبق سالمًا إلا هذا المسجد الذي امتد التعصب الشيوعي إليه في أول الثورة الشيوعية فأغلقته لعدة سنوات حتى أذن اللّه بفك إساره وعودته إلى بث أنواره فكان المنبر الوحيد المجيد الذي وإن كان لايتسع للمسلمين كلهم فإنه يجمع شملهم ويلم شعثهم، ويكون المكان الأوحد الذي يجتمعون فيه لصلاة الجمعة كل أسبوع لأن هذه إحدى حكم صلاة الجمعة وأسرارها.

فقد رأينا في هذا الوقت الذي ليس بوقت صلاة طائفة من المسلمين في المسجد ومنهم أسرة كويتية وإناس من أهل الخليج وسورية.

ولقد كنت أعهد المسجد يضيق بالمصلين يوم الجمعة حتى كانوا يصلونها أكثر من مرة فسألت الشيخ (حمدي) عما إذا كان ذلك مستمراً حتى الآن فقال إنكم جئتم في الشتاء ولايمكن أن يصلي الناس خارج المسجد لأن الأرض كلها كما كنتم شاهدتم مفروشة بالثلوج ولذلك كنا نضطر إلى أن نعيد الصلاة أكثر من مرة للذين لم يتسع لهم المسجد للصلاة الأولى، أما الآن والوقت صيف فإننا نصلي الجمعة مرة واحدة لأن الناس يصلون في الأفنية الخارجية للمسجد كما يصلون في الحديقة.

وكنت عهدتهم قد عزموا على توسعة المسجد وأن يطلبوا من الحكومة اليوغسلافية أن تمنحهم منازل محيطة به كان يملكها أفراد من الناس قبل الشيوعية وأصبحت منذ سنوات ملكًا عامًا فسألت الشيخ حمدي عما وصل إليه هذا المشروع؟ فقال: إننا عجزنا عن أن نجمع المال اللازم لذلك وعجزنا عن أن نجد من يستعد لدفع جميع تكاليف المشروع التي قد تصل إلى مليون دولار ولذلك بقي المشروع على الورق ثم أرانا مخططات له جاهزة منذ زمن.

فقلت له: إن الأفضل أن تجمعوا أنتم ما تستطيعون جمعه ولو أمضيتم مدة طويلة ثم تطلبون من اخوانكم المسلمين في خارج يوغسلافيا المساعدة على ذلك وأنا أتحدث باسم رابطة العالم الإسلامي أخبركم بأننا سوف نساعدكم ونسهم في هذا المشروع الإسلامي الحيوي.

أما أن تنتظروا أن تجدوا من يدفع كافة النفقات عنكم فذلك أمر لاينبغي لأنه يجمد المشروع.

فقال: إن هذا صحيح غير أن جمع التبرعات الآن من الإخوة المسلمين في يوغسلافيا هو أمر صعب بالنظر إلى الأزمة الاقتصادية التي أصابت الاقتصاد اليوغسلافي لعدة أسباب لاتزال قائمة قد جعلت الشعب يضعف عن التبرعات لأنه لايكاد يجد مايسد رمقهم. وقال: إن المشكلة أننا عندما فاتحنا الجهات الحكومية بأن تمنحنا أرض البيوت القريبة من المسجد على اعتبار أن هذا المسجد هو المسجد الوحيد في العاصمة وهو الذي يصلي فيه السياسيون الموجودون في البلاد من البلدان الإسلامية إضافة إلى الوفود الرسمية من الزوار وإلى السياح والطلاب المسلمين قالوا: إنهم مستعدون لذلك شرط أن نكون قد جمعنا من المال ما يكفي تنفيذ المشروع وأودعناه بنك الدولة ونحن أعجز عن أن نفعل ذلك.

قلعة الميدان:

قال الشيخ حمدي بعد أن أوقف سيارته أمام بناء أثري قديم لبرج قوي: هذه (قالي ميدان) واسمها عربي الأصيل وإن كان الأتراك يلفظون به (قالي ميدان) فقالي: قلعة، وميدان هو الميدان بمعنى الباحة أو الساحة في العربية.

فقلت له: (قالي) أيضًا لها حديث فالأتراك يسمون القلعة في لغتهم (حصار) وليس قلعة، فربما يكونون استعملوا هذه الكلمة الأخيرة في العصور الأخيرة.

وعلى أية حال فإن المهم هو اسم هذا المكان عند اليوغسلافيين في الوقت الحاضر وهو كما ذكره الشيخ حمدي (قالي ميدان).

وهذه قلعة واسعة ضخمة واقعة على ربوة شامخة تطل على التقاء نهر الدانوب بنهر (ساوا) وتتحكم في المنطقة التي تشغلها مدينة بلغراد بناها الأتراك في القرن السابع عشر الميلادي، وتهدم جزء منها وتصرف اليوغسلافيون بجزء أو بأجزاء أخرى حينًا بالهدم أو التجريب، أو التعمير الذي هو في الحقيقة تخريب لمظهرها وإن كان بعضها لايزال قائمًا شاهدًا على قوة البناء وعناية الدولة بالمرافق العسكرية.

ومن الأشياء التي خربت في القلعة مسجدها الذي كان زاهيًا فأصبح الآن اطلالاً لم يبق منها إلا أصول حيطانه.

عندما يقبل المرء على هذه القلعة يفاجأ بسور لها شامخ قوي قد بنيت أسافله بالحجارة وأعاليه بالآجر، ويحيط به من جهة الشرق والجنوب أي من غير جهتي النهرين (الدانوب وساوا) خندق كان مفعما بالمياه لحماية القلعة من المغيرين الذين قد يأتون من البر. وفي خارج القلعة قريب منها مرافق عديدة منها حمامات من النوع التركي المشهور.

دخلنا إلى الفناء الخارجي للقلعة مع ممر يعلوه أزج أي قوس ضخم من الفخار وتندرج أرضه المفروشة بالحجارة القوية تدرجًا وهي ترتفع لأن موقع القلعة عالٍ وقد جعلوه هكذا متدرجًا من أجل أن تجتازه الخيول والدواب.

وأول ما يصل إليه المرء الذي يدخل من هذا المدخل الخارجي من أبنية القلعة المسورة المحكمة من الداخل أيضًا برج ضخم يقع في ركنها الشمالي لايزال اسمه التركي باقيًا وهو: (ديزدار) ومعناه: فديز بالتركية و(دار) هي الكلمة العربية بمعنى مسكن، وإن كان معناها قد تحول في التركية إلى مكان أو مخزن أو وظيفة في بعض الأحيان حسب دلالة ما يضاف إليها من كلمات.

وهو عال إلى درجة أنه الآن قد اتخذه اليوغسلافيون مرصداً فلكيًا مع أنه قد بني منذ حوالي أربعة قرون.

ثم دخلنا إلى داخل القلعة وقد صار فناؤها الداخلي حديقة عامة فيه مقاعد للمستريحين المتنزهين مع أن بلغراد غاصة بالحدائق ولكن وجود الحديقة في وسط هذا البناء الأثري القديم له معناه الخاص لاسيما مع كون بعض الأماكن التي تشغلها هذه الحديقة كانت مواضع أبنية قديمة تهدمت أو هدمت بالقصد.

اقتران النهرين :

في شمال القلعة منظر جميل بل رائع من موضع القلعة العالي فيطل من يعلو سور القلعة الشمالي منه على منظر اقتران النهرين : نهر الدانوب ونهر (ساوا) ويؤلفان قبل امتزاجهما جزيرة صغيرة يسميها اليوغسلافيون الآن جزيرة الحرية (راتنواسترو).

ويطل الناظر من هذا المكان المرتفع على اقتران النهرين الذي هو في الحقيقة ليس اقترانًا بل هو أشبه مايكون بعملية الابتلاع إذْ يبتلع نهر الدانوب العظيم نهر (ساوا) الذي هو نهر ليس صغيراً ولكنه قصير المجرى أو قصير العمر بالنسبة إلى هذا النهر العتيد (الدانوب). وهما إذا اختلطا ذاب (ساوا) في الدانوب أو انمحى فيه حتى اسمه فاصبح الدانوب كما يبتلع الحوت الأكبر السمكة الكبيرة.

وابتلاع من نوع آخر وهو أن نهر (ساوا) يعتبر نهرًا حيًّا لأنه نظيف خالٍ من التلوث بخلاف نهر الدانوب الذي يعتبر نهراً ميتًا أو بتعبير أدق نهراً مسمومًا لأنه تلقى فيه نفايات المواد الكيماوية السامة وغيرها من النفايات القاتلة للحياة لذلك لاينتفع منه انتفاعًا ظاهرًا إلا في الملاحة وتوليد الكهرباء أما مياهه فإنها غير صالحة للشرب لذلك السبب.

فإذا امتزجا ضاعت طهارة (ساوا) في نجاسة الدانوب وهكذا يكون نهر (ساوا) النظيف قد مات ميتتين إحداها ميتة الاسم والثانية ميتة المعنى.

ضريح الفاتح:

في وسط الحديقة الذي هو في الحقيقة وسط القلعة يوجد بناء في حالة جيدة قرأنا الكتابة عليه بحروف عربية وبلغة تركية (داماد علي باشا فاتح موريا). وموريا: فيما أخبرونا به – قلعة مشهورة تقع على نهر الدانوب.

وقد بني هذا الضريح في عام ١٧١٦م وجدد في عام ١٩٣٨م.

وهو جزء من مقبرة هامة أو هي لشخصيات كانت ذات قيمة في المجتمع في ذلك الوقت وكلها لقوم من المسلمين.

أخبرنا الشيخ حمدي أن كثيراً من الناس يتساءلون عن السبب الذي من أجله هدمت المساجد حتى مسجد هذه القلعة وبقي ضريح هذا الداماد الفاتح وأنهم كانوا يجيبون أنفسهم بكونه كان عادلاً.

والحقيقة ربما تكون غير ذلك فإقامة الأبنية على القبور والأضرحة هو مخالف للشرع الشريف وهو في الوقت نفسه مخالف للعقل الصحيح إذا كان قصدمن بنوها كما هو

عليه الحال في العصور السالفة بأن يرجو منها النفع أو دفع الضر فيزورون هذه الأضرحة للتبرك بها أو للدعاء عندها.

وذلك مما يكون سببًا للتأخر والتراخي بخلاف المساجد التي كانت إلى جانب كونها دور عبادة فإنها كانت دور علم ومواطن تربية إسلامية تحث على الجهاد وقتال الأعداء في سبيل الله، ولذلك يهدمها المخالفون المتعصبون.

ولقد لاحظت شيئًا غريبًا وهو أنه بالقرب من هذا الضريح المقام على قبر رجل مسلم يوجد ضريح مقام على قبر إمرأة يقدسه النصارى وتسمى عندهم «قديسة»، فهل ترك ضريح المسلم من باب التوازن في المعاملة أو إظهار العدل في ذلك؟ وإذا كان الجواب بنعم، فلماذا لم يترك من المساجد الكثيرة إلا مسجد واحد في بلغراد على حين أن الكنائس موجودة فيها.

وفي وسط مقبرة صغيرة بجانب هذا الضريح رأينا نصبًا حجريًا تذكاريًا مكتوبًا عليه بالعربية الآية الكريمة: (كل شيء هالك إلا وجهه) وتاريخه في عام ١٢٧٧هـ، وقبر آخر عليه اسم إمرأة لأحد سلاطين تركيا كما قيل لنا.

التمثال البديل للمنارة:

بدلاً من منارة المسجد التي كانت شامخة في هذا المكان العالي بموقعه أقاموا تمثالاً لرجل بيده اليمنى سيف وفي اليسرى حمامة أسموه تمثال الحرية والسلام. وحُق لمن يراه أن يسخر ويمتلئ سخرية حتى ولو لم يكن من محبي السخرية إذا رأى تمثالاً للحرية في بلاد قامت على هدم الحرية وقصرها على فئة صغيرة من الشعب هي التي تدين بالمذهب الشيوعي وتتقرب إلى حكامه وأما أكثرية الناس فإنها لا حرية لها.

وهذا شيء معروف للناس جميعًا لاينكره حتى الحكام الشيوعيون فليس بمقدور كثير من السكان أن يكون لهم الحرية في اختيار نظام الحكم الذي يريدونه ولو كان غير شيوعي، وليس بمقدور الناس أن يختاروا النظام الاقتصادي الذي يريدونه وليس بمقدروهم أيضًا أن يتداولوا الأفكار التي يميلون إليها أو يريدون تداولها. فأين الحرية في البلدان الشيوعية؟

ومع ذلك أقاموا لها تمثالاً في أعلى مكان من باحة هذه القلعة المرتفعة.

أما السلام الذي يردده الشيوعيون وبخاصة في أول توليهم السلطات في البلاد فهو السلام الذي يوقف إنكار استيلائهم على البلدان بالقوة الداخلية أو الخارجية، ويتركهم يتصرفون فيها دون رادع من قوة مادية وهذا هو الذي يعبرون عنه بالسلام.

وإلا فإنهم إذا ما قويت شوكتهم ووثقوا من أسلحتهم كانوا ألد أعداء السلام.

وأقرب الأمثلة علي ذلك ماثلة في دخول الآلاف من الدبابات السوفيتية إلى بودابست عاصمة المجر في عام ١٩٥٦م وإعادة احتلالها بالقوة وإسكات الأصوات المنادية بالحرية فيها بقوة السلاح.

ثم تكرارهم الفعل نفسه في تشيكوسلوفاكيا عندما تململ الشعب هناك وأراد البحث عن الحرية.

ثم المثل الأقرب الأوضح في احتلال القوات الروسية السوفيتية أفغانستان المسلمة لالشيء إلا لتأييد حكومة يسارية عميلة لهم.

فهل هذا هو معنى السلام والحرية في قاموس الشيوعية؟

التقطنا صوراً تذكارية في هذه الأماكن العجيبة الجديرة بالتقاط صورها وبخاصة منظر القسم القديم من مدينة بلغراد ويقع إلى الغرب الجنوبي من هذه القلعة.

الآثار الإسلامية:

واصلنا السير في حديقة القلعة الواسعة فمررنا ببناء عليه لافتة تدل على أنه تابع لإدارة الآثار القديمة وفي ركن آخر منعزل من القلعة متحف حربي من الأشياء الظاهرة فيه دبابات قديمة، وأنواع من المدافع بعضها استعمل في الحرب العالمية الأولى التي كان سببها المباشر حادثة وقعت في يوغسلافيا نفسها.

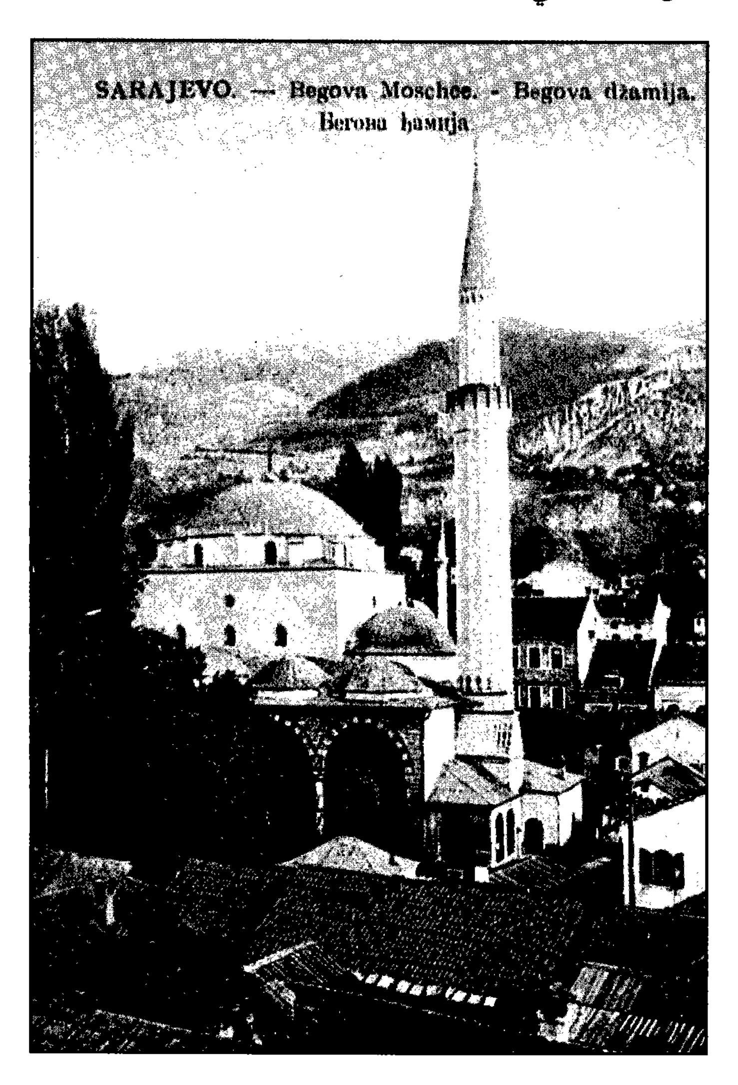
وليس هذا بالمهم لنا وإنما المهم بل الأهم هو بقية أو آثار من بقية من الآثار الإسلامية التركية القديمة، ومن ذلك باب من أبواب القلعة كتب عليه أنه (باب الساعة) على برج بني ما بين عام ١٦٩٠م – وعام ١٦٩٦م.

ثم أشلاء المسجد المهدوم الذي لم يبق منه إلا أساسات واضحة من بينها أساس

المحراب وأكثره اقتلع من الأرض اقتلاعًا إذ انتزعت حتى الأساسات من بعض أجزائه.

ولذلك لا مجال لإنطلاء الحجة أو الفرية التي يروجها اليوغسلافيون في الوقت الحاضر وهو أن الأتراك هم الذين تسببوا في هدمه لأنهم كانوا قد وضعوا فيه ذخيرة فانفجرت ودمرته.

إذ كيف يتركون الأماكن الحصينة في القلعة ويختارون المسجد مكانًا للذخيرة؟



أحد المساجد الأثرية في يوغسلافيا

شرفة القلعة :

تركنا قلعة الميدان ولكنها لم تتركنا ، إذْ ذهبنا لتناول الشاي في مقصف على مكان مرتفع من المكان المجاور للقلعة فدخلنا إليه مع (قبو) أثري ينزل منه إلى مكان منخفض مبني بالحجارة ثم يصعد مرة ثانية إلى شرفة مرتفعة قد أقاموا فيها مقصف جيداً . وقد ظللوا جميع موائده بالمظلات إتقاء للشمس فالجو حار والشمس هي الشمس الحارة في الصيف حتى في البلدان الأوروبية القصية إذا ما خلا الجو من سحاب أو ضباب . واسم المقصف (تيراسا قالي ميدان) أي: شرفة قلعة الميدان .

ويطل المقصف على نهر الدانوب الذي يقع عنه جهة الشرق وقد عظم بطنه وتضخم مجراه بعد ابتلاعه نهر ساوا وذلك في منظر بديع .

وحتى الذين في هذا المقصف كلهم من ذوي الوجوه الصبيحة ، كما هي في أكثر البلدان الباردة لايكاد يصدم بصرك فيه وفي أمثاله ماتكرهه . وزاد هذا الموقع جمالاً بل زاد الجلوس فيه شاعرية ما أضفاه التذكر بأن هذا كان مسرحاً من مسارح الجهاد في سبيل الله ومظهراً من مظاهر غلبة الإسلام في القديم وأنه في الوقت الذي كان فيه ظل المسلمين ينحسر عن غربي أوروبا الجنوبي في الأندلس كان هذا الظل ينبسط بل ويتمدد ويتسع على شرقها حتى بلغ بحساب المساحة أضعاف أضعاف ما انحسر عنه الإسلام من البقاع الأوروبية .

ولقد زل قلمنا حينما قلنا انحسر الإسلام وكنا قلنا قبل ذلك إنه انحسر ظل الإسلام فالحقيقة أن الإسلام الحقيقي لاينحسر ظله أبداً إذا ما أخذ به أهله وطبقوه فعلاً لا قولاً ولكن المسلمين أو الذين يتسمون باسم الإسلام هم الذين ضيعوا الإسلام حقيقة وتكاسلوا عن تطبيقه فعلاً ومع ذلك تعلقوا به اسماً ورسماً فكانوا بذلك إلى جانب كونهم من المفرطين قد أصبحوا من المزيفين فهؤلاء هم الذين انحسر ظلهم وغاب نجمهم .

ولو كانوا أخذوا بأوامر الله ورسوله التي تأمر بالعدل والاحسان وتقيم أول ماتقيم أعلام الجهاد في سبيل الله وتحارب الترفه والتراخي والكسل واتباع الشهوات، وتفضيل الملذات على القيام بالواجبات لما وصلت بهم الحال إلى ذلك المآل، والحكم للكبير المتعال!.

وإنه لجدير بنا اليوم ونحن نتذكر ما مضى أن نأخذ منه العبرة فنحاسب أنفسنا ونزن أعمالنا بميزان الكتاب والسنة سواء أكنا حكامًا أم محكومين، وسواء أكنا رؤساء أم مرؤسين عسى أن يعود إلينا العز الضائع، وأن نصل مجدًا طارفًا بالمجد التليد.

يوم الجمعة : ١٩٨٥/٧/١٨م.

من بلغراد إلى سرايفو :

مدينة سرايفو هي عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك وهي إحدى جمهوريات دولة يوغسلافيا الاتحادية التي تتألف من ست جمهوريات تقدم ذكرها.

وهي اتحادية تجمع بين السلاف الجنوبيين الذي يدل عليه اسم الدولة (يوغسلافيا) فيوغ تعني جنوبًا أو جنوبيًا وسلاف تعني الجنس السلافي وإن كان السلافيون في الحقيقة هم سكان شرق أوروبا الذي يمتد من (بولندا) شمالاً إلى بلغاريا جنوبًا يتخلله موطن أقوام وفدوا على المنطقة منذ أزمان وهم المجريون والرومانيون.

فأهل يوغسلافيا هم السلاف الجنوبيون وليسوا كل السلاف بطبيعة الحال.

مر بنا الأخ الكريم الشيخ (حمدي سباهيتش) حيث حملنا بسيارته إلى المطار الساعة السادسة من هذا الصباح ولم تطلع الشمس بعد وكان من المقرر أن نسافر إلى سرايفو في السابعة.

وكنا قد قررنا أن يفترق أعضاء وفدنا وهو وفد رابطة العالم الإسلامي الذي أرأسه طلبًا لتوفير الوقت فأسافر أنا والأخ الأستاذ إبراهيم الخزيم إلى (سرايفو) ويسافر ثلاثة من الأخوة هم محمد الحسن وعبدالرحمن بن عوين وسكرتير الوفد الأخ (رحمة الله ابن عناية الله) إلى مدينة (زغرب) وأن يبقى الزميل الشيخ عبدالرحمن الرويشد عضو الوفد في بلغراد لمتابعة العمل هناك لأنه سبقت له زيارة هاتين المدينتين على أن نلحق نحن بالإخوة في مدينة (زغرب) بعد الفراغ من المهمة في (سرايفو) فنعود جميعًا إلى بلغراد.

وكان من المقرر أن يغادر زملاؤنا المسافرون إلى زغرب مطار بلغراد قبلنا بساعة ولذلك كانوا قد خرجوا قبلنا من الفندق بفترة غير أننا أدركناهم في المطار وقد تأخرت طائرتهم عن موعدها فعيرهم أحدنا – مازحًا – بذلك ولكن طائرتنا أيضًا تأخرت بل

أعلنوا أنها ستتأخر ساعة ونصفا قالوا: إن ذلك من أجل حالة الجو في مطار سرايفو، فاجتمعنا في المطار.

ثم سافر زملاؤنا إلى زغرب في الثامنة والنصف بعد أن كان سفرهم قد تقرر في السادسة.

وبقينا نحن في انتظار ممل في المطار ومعنا الشيخ (حمدي) ثم ودعنا وبقينا في الانتظار.

ثم أعلنوا في لوحة مواعيد السفر أنهم أدمجوا رحلتنا التي تأخرت عن موعدها في رحلة أخرى بعدها إلى (سراييفو) وأنها ستقوم بعد قليل ففرحنا بذلك وبخاصة أنهم دعونا إلى الخروج إلى البوابة استعداداً للصعود للطائرة ولكننا بقينا فترة مملة عند البوابة أعادونا بعدها إلى قاعة المغادرة في المطار، وكل ذلك بحجة حالة الجو مع أن الفصل صيفي حار والسماء صاحية ولا أثر للضباب أو غيره.

وكان بين الذين سيسافرون معنا تاجر أردني قال إنه يتردد على هذه البلاد أخبرنا أن الشركة اليوغسلافية التي هي حكومية مثل سائر الشركات والمؤسسات هنا تعاني من قلة الطائرات فإذا ما تعطلت طائرة من طائراتها أو عاقها عن موعدها المقرر عائق أثر ذلك على الرحلات الأخرى.

أما حالة الجو فقال: إن ذلك قد يكون صحيحاً في الشتاء لأن الهبوط إلى مطار (سراييفو) يمر بين جبلين هناك ويكون في بعض الأحيان فيه ضباب في الصباح بين هذين الجبلين الذين بقعان على جانبي وادٍ منخفض.

ومطار بلغراد حديث وفيه عدة دهاليز متحركة متصلة بأبواب الطائرات عند الترحيل، وحالته جيدة إلا أن المطاعم والمشارب فيه قليلة وكل الذي رأيناه مفتوحاً فيه يتناول الناس فيه أكلهم وهم واقفون تجاه موائد عالية كالرفوف تصل إلى مستوى الصدر. وذلك من باب توفير المكان ومن أجل عدم استغلال المقهى أو المطعم للجلوس الطويل فيه.

وقد وجدنا العامل في مطعم أو مقصف في المطار تناولنا الإفطار فيه رجلاً مسلماً فرح عندما أخبرناه بأننا مسلمون حين طلبنا منه أن لايضع في شطائر الإفطار أي شيء مسه لحم خنزير فأكلنا عنده الخبز وجبنًا جيدًا ، مع الشاي والقهوة .

ودخلت حمام المطار فوجدته لا يشذ عن القاعدة التي تكاد تكون عامة في البلدان الشيوعية وهي عدم مبالاتهم بما يستعمله أفراد الشعب فهذه الحمامات وإن كانت في المطار الذي يدخله ويخرج منه أجانب أيضًا ليست على مايرام في النظافة وليس فيها ورق للتنظيف أعني من الذي يستعمل في المراحيض أما الورق الذي يستعمل بعد الفراغ من غسل الأيدي فلامجال للطمع في وجوده في مثل هذه الأقطار ، كما أن أبوابها لاتغلق على الداخل لأن المغالق فيها كانت موجودة ففسدت ولم تصلح فيقضي من يدخلها حاجته وهو يرتجف خيفة أن يفتح عليه الباب فاتح .

وهذا أمر عهدته في الصين وقد ذكرت ذلك في كتابي اللذين كتبتهما عن الرحلة إلى الصين أحدهما بعنوان : «داخل أسوار الصين» والثاني: «في مهد الترك» لأنه خاص بالكلام على إقليم تركستان الشرقية الذي يسميه الصينيون الآن «سينكيانغ» وفي داخل هذه الحمامات كتابات كالتي يكتبها الصبيان على الحيطان في بلادنا لم تجد من يمحوها .

إلــى سرايفو :

قامت طائرة الخطوط اليوغسلافية في الساعة الحادية عشرة والربع قاصدة مدينة (سرايفو) متأخرة ثلاث ساعات عن موعدها المقرر وهي من طراز بوينج ٧٠٧ .

وقد كادت تمتلئ بالركاب لأنهم جمعوا فيها ركاب الرحلات الأخرى المتأخرة .

وما كادت تستوي في الجو حتى بدأت الهبوط إذْ المسافة بينهما لاتستغرق أكثر من ٣٥ دقيقة ، وكنت عند زيارتي السابقة لها قبل ثلاث عشرة سنة سافرت إليها في القطار الذي كان يمر بعدة بلدان ويسير سيراً وئيداً استغرق منا حوالي عشر ساعات .

واقتصرت الضيافة في الطائرة على كأس من الشاي أو عصير الفاكهة لضيق الوقت.

وعندما بدأت الطائرة بالتدني تجلت المنطقة جبلية خضراء مكسوة بالغابات الكثيفة التي تعتبر من أكثر المناطق التي رأيتها كثافة.

وفي المناطق الريفية الخضراء الجميلة بيوت قليلة ذات سقوف حمر بديعة المنظر.

والأرض كلها معمورة فلا يلمح فيها المرء ما يحسبه مهملاً أو متروكًا اللهم إلا الغابات على الجبال، وبخاصة في سفوحها الوعرة أو رؤوسها غير المستوية فقد تركت غابات ملتفة هي أيضًا تستثمر كما تستثمر الحقول في الأخشاب.

وفي الأماكن المستوية التي تكون بين الجبال حقول قد عمت الأرض بل قد اطبقت عليها كلها.

وقد كان سروري بالغًا لهذه المناظر لأن هذه المنطقة تعتبر منطقة المسلمين فهي جميلة المنظر، كما أن الإسلام جميل المخبر و(إن الله جميل يحب الجمال).

وقبل الهبوط في المطار تجاوزت نهرًا في منطقة زراعية ذات خضرة كثيفة ثم وصلت إلى ما فوق ضواحي المدينة التي تتألف منازلها من أبنية متعددة الطوابق (عمارات) بينها مساحات خضر متسعة.

في مطار سرايفو:

هبطت الطائرة في الحادية عشرة والدقيقة الثامنة والأربعين أي بعد طيران لم يزد على اثنتين وثلاثين دقيقة.

ورأينا الأعشاب المحيطة بالمطار ذات زهور بيض كثيفة ويكاد يلاصق المدرج حاجز من الأسلاك لمنطقة مزروعة كان أهم ما فيها من المناظر منظر أهرامات العلف وهي

أماكن كالأبراج الصغيرة تحفظ فيها الأعلاف والأعشاب التي تنمو في الربيع والصيف حتى تكون علفاً للدواب إبان فصل الشتاء الطويل الذي لاينبت فيه زرع، ولاينمو فيه شجر.

وجدنا في الاستقبال في المطار بعض الإخوة من علماء يوغسلافيا وكلهم يعرف العربية ويحادثنا بها على رأسهم الشيخ عبدالرحمن هوكيتش مستشار المشيخة الإسلامية وهو الذي ينوب عن رئيس علماء يوغسلافيا الشيخ نعيم عند غيابه كما هي عليه الحال اليوم والسبب في ذلك أن هذا الفصل عندهم يعتبر فصل التمتع بالإجازات لأنه صيفي مشرق على حد تعبيرهم وهذا صحيح إذا قورن بشتائهم الجامد الطويل.

ومنهم الشيخ مرزوق فيزا غيتش المسئول عن تحرير صحيفة البعث الإسلامي، التي تصدرها المشيخة الإسلامية والأخ محمد سالكيتش المستشار القانوني للمشيخة والأخ بريلو دوران مسئول المراسم في المشيخة الإسلامية اليوغسلافية.

وأخبرونا أنهم كانوا ينتظروننا في المطار منذ أربع ساعات لأنه كان من المقرر أن تصل الطائرة التي أخبرهم أهل بلغراد أننا سنصل فيها في السابعة والنصف، فسألناهم عن موضوع الضباب وحال الجو الذي قيل إنه هو سبب التأخير فأجابوا بأن الجو صاف شامس كما رأيتم.

وكنا قد شاهدنا المنطقة صافية خالية من العوائق بل هي في صفاء جوها عندما وصلناها تماثل صفاء الجو في مدينة الرياض.

وذكروا أنه كان يوجد في الصباح شيء من الضباب الخفيف الذي لايمنع نزول الطائرة وقد زال بسرعة.

نزلنا معهم بسيارة للمشيخة جديدة أنيقة مخترقين ضاحية من ضواحي المدينة التي بدت جميلة مرتبة أكثر من بلغراد ونزلنا في فندق (أوروبا) في قلب المدينة القديم بل

التاريخي وهو الفندق الذي كنت قد نزلت فيه في الزيارة الأولى لهذه المدينة قبل ثلاث عشرة سنة، وليس هذا بالمهم في المقارنة ولكن كان المهم عندي هو الفارق الكبير في حالة الجو بين الزيارتين فقد كانت الأولى في صميم الشتاء الشاتي، وكانت درجة البرودة في سراييفو عندما وصلناها حسبما أعلنته الإذاعة والصحف هي أربع عشرة درجة مئوية تحت الصفر، وكان كل شيء من النبات والأشجار هامداً أما الآن فالعكس هو الصحيح فالجو صاحٍ ضاحٍ حتى إن المرء لايتحمل أن يلبس بدلة خفيفة وهو يشبه أيام الربيع الدفيئة في الرياض.

وقد اكتست هذه البلاد حلة من الزهور التي نسقتها أيدٍ ذواقة للجمال، متأنقة في ذلك، تعلم أن موسم الجمال الأرضي قصير العمر، فتحاول أن تهتبل غرة هذا الزمان البارد فتتمتع وتمتع بالعناية بالورود والزهور من كافة الأنواع حتى لكأنك في معرض من المعارض التي يتسابق فيها الناس إلى عرض الزهور.

وقد شاركت أيضاً في هذا الاستعراض ورود الخدود التي لاشك بأن الشتاء الجامد الهامد يكون قد ران على نضارتها، وربما قضى على غضارتها ولكن ذلك يكون إلى زمن محدود إذ ما أن حل هذا الفصل الربيعي المشهود حتى اخضر كل عود وازهر كل جلمود.

وأول ما يلاحظه المرء هنا عند الوصول إلى هذه البلاد سواء أشاء ذلك أم أبى بمعنى أن يكون قد تطلب النظر إلى ذلك أو رآه عفو الخاطر فإنه سيلفت نظره ويسترعي بصره منظر الزهور والورود مع اعتدال القدود وتناسب القوام في أكثر الأجسام.

قصدنا الفندق لاستراحة قليلة قبل الذهاب لصلاة الجمعة.

وقال لنا الأخ عبدالرحمن هوكيتش/ مستشار المشيخة الإسلامية: لقد تأخر وصولكم عما قدرناه، ولذلك لابد من أن نختصر البرنامج المقرر فنقتصره على زيارة بعض الأماكن دون بعض.

وكان من المقرر أن نصل في السابعة والنصف وأن نقضي سحابة هذا اليوم كله في سرايفو ثم نغادرها في الثامنة مساءاً إلى مدينة (زغرب) ولكن تأخر الطائرة أضاع علينا أربع ساعات ثمينة.

أما الفندق الذي كنت عهدته قبل ذلك فاخراً ورأيته اليوم كما هو من فنادق الدرجة الأولى حسبما صنفته إدارة السياحة في البلاد فقد بدا الآن في عيني أقل من ذلك بكثير. ولاشك في أن سبب ذلك يرجع إلى حالتي أنا التي تغيرت وليس إلى حالة الفندق نفسه الذي لم يتغير فقد قدر لي في خلال السنوات الثلاث عشرة الماضية أن أزور معظم أنحاء العالم في القارات الست وفيما هو خارج عن تلك القارات مثل جزر البحر الزنجي (مدغشقر) وما حولها ونبوزلندا وما بقربها من جزر المحيط الهادئ إضافة إلى جزر البحر الكاريبي الواقع بين القارتين الأمريكيتين الجنوبية والشمالية، وعرفت في تلك الرحلات من فنادق الدرجة الأولى والدرجة الفاخرة في بلاد ذات اقتصاد حر يتنافس فيها الناس على التحسين والتجميل ما جعل مثل هذه الفنادق في البلدان الشيوعية التي تتسم الحياة فيها بالجمود وعدم المسايرة للتقدم الحضاري لاتبدو شيئاً يصمد للمقارنة، فضلاً عن المنافسة.

وقد تمتعت بتجديد عهد قديم بهذا الجزء من مدينة سرايفو الذي يعتبر بحق الجزء المسلم المحافظ من المدينة بناسه وأبنيته وشوارعه التاريخية فضلاً عن مساجده وقبابه وتكاياه.

جامع خسرويك:

هذا أكبر الجوامع في مدينة (سرايفو)، بل هو الجامع الرئيسي الذي استمر عامراً بالمصلين فم تمتد إليه يد الشيوعيين.

وقد بني في عام ٩٣٧ هـ حسبما كتب عليه تاريخه، وهو منسوب إلى بانيه الغازي خسرويك وهو ابن شقيقة السلطان بايزيد وكان قائداً عسكرياً تركياً ووالياً على عدة أماكن توفي في سرايفو عام ١٥٤١م ودفن بالقرب من هذا الجامع الذي بناه.



المنبر والمحراب في جامع خسرويبك

ذهبنا إليه سيراً على الأقدام من فندق (أوروبا) وهـم ينطقون بكلمة أوروبا كما ننطق بها في العربية، لأنه مثل الفندق يقع في القسم القديم من المدينة الذي هو قلبها التاريخي الثمين، كان وصولنا إلى الجامع قبيل دخول الإمام وكان داخل المسجد مزدحماً بالمصلين فرأى الشيخ (عبدالرحمن هوكيتش) أن نصلي في جزء مرتفع تحت رواق في المسجد ملاصق للقسم الداخلي ومرتفع عن الأرض على هيئة دكة مرتفعة.

ورأيت من إقبال الإخوة المسلمين في هذه المدينة المبتلاة بالشيوعية على الصلاة ما

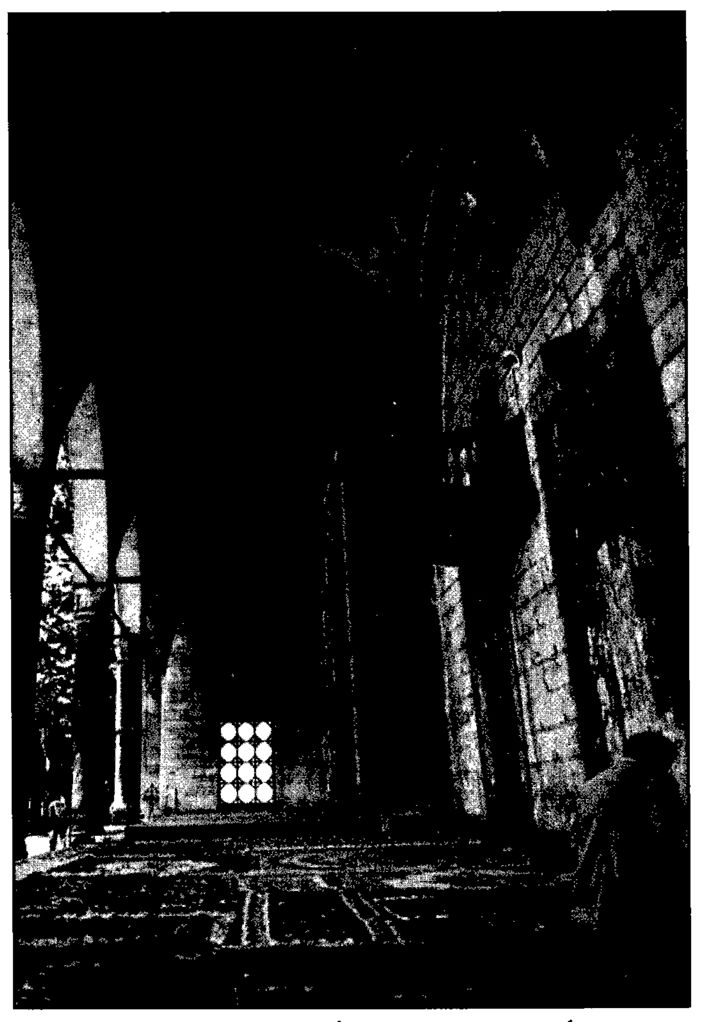
أفرحني فجمعهم في جمعتهم كثير والمصلون من أعمار مختلفة، وليسوا مقتصرين على الشيوخ أو الكهول.

بدلاً من الأوقاف :

ورأيت منظر عجيباً آخر ذلك أنه منذ أن دخلنا المسجد وفيما كان المسلمون المصلون يتوافدون على الجامع فرادى وجماعات كانت هناك طوائف من الناس وبينهم نساء يرتدين ملابس لاترتديها المسلمات في المحافل العامة إذْ هي لباس النساء في الصيف مما يعطى اليقين بأنهن ومن معهن من الرجال ليسوا من المسلمين، ومع ذلك جمعهم كبير ملفت للنظر، وسرني ذلك عندما رأيتهم يتأملون المسلمين وهم يصلون لأن ذلك يفتح لهم على الأقل باب التساؤل عن ماهية الإسلام وهي مرحلة مهمة في الطريق للتعرف على الإسلام ثم الاهتداء بهداه أو على الأقل نفي الصورة المشوهة عنه، ورأيت بعض هؤلاء الذين هم من غير المسلمين يشترون كتباً صغيرة ومنشورات إسلامية مختصرة وبعضها يتكلم على حالة المسلمين عامة أوعلى المساجد والأماكن الإسلامية في هذه البلاد.

وقد استمر دخولهم ومراقبتهم للمسلمين حتى انقضاء الصلاة.

وقد أردت أن أستوضح أمرهم من رفيقي الشيخ (عبدالرحمن هوكيتش) فسألته عنهم بعد انقضاء الصلاة؟ فقال: هؤلاء من السياح فيهم من هم سياح وفدوا من أنحاء يوغسلافيا وفيهم من هم سياح من خارج يوغسلافيا من البلدان الأوروبية الشرقية والغربية وهؤلاء يأتون إلى المسجد لأنه معلم سياحي وضعته دوائر السياحة في المدينة ضمن المعالم السياحية المهمة التي تستحق الزيارة لأنه مبنى أثري ثم إن طريقة بنائه قد أصبحت أثرية أيضًا، إذ لايقام ما يماثلها الآن في البلاد.



منظر داخلي لجامع خسروبيك

إضافة إلى أنه من المساجد والأماكن الإسلامية الأخرى مما يبرز الطابع الثقافي التاريخي لهذه المدينة الذي هو طابع إسلامي خاص لا تشاركها فيه أية مدينة مهمة أخرى في يوغسلافيا، إذْ لاتوجد فيها مدينة أخرى خارج جمهورية البوسنة والهرسك لها من الطابع الإسلامي الظاهر وفيها من المخلفات الإسلامية الأثرية ما في هذه المدينة.

قال ويتقاضى المسجد قيمة رمزية لكل تذكرة يمنحها للسائح غير المسلم الذي يريد الدخول إلى المسجد سواء أكان ذلك خلال أوقات الصلوات أو خارجها أظنه قال: إنها ربع دولار أي ما يعادل ذلك بالعملة اليوغسلافية.

ومع ذلك قال الأخ الشيخ عبدالرحمن: إنه عندما استولت الحكومة على أوقاف المساجد وحرمت بذلك من الموارد المالية المنتظمة تخوف كثير من المسلمين من أن يكون في ذلك القضاء على ازدهار المساجد بسبب عدم وجود موارد مالية لاستمرارها في عملها ولكن الله عوضنا عن ذلك الآن بما صرنا نأخذه من قيمة التذاكر التي نأخذها من غير المسلمين الذي يحبون أن يروا المساجد أو الأماكن الإسلامية الأخرى فصار من ذلك دخل لابأس به للمساجد يكاد يكفي لسداد المصاريف اليومية المتكررة مثل استهلاك الماء والكهرباء.

وهذا باب فتحه الله للمساجد بعد أن سدت الأبواب التي كانت مفتوحة من قبل لهذا الغرض ويلاحظ بهذه المناسبة أن (جامع خسروبيك) هذا يرجع بناؤه إلى عام ١٥٣٠هـ فهو بهذا يعتبر أثرًا قديمًا بالنسبة إلى حداثة البلاد بالمدنية وعدم وجود الأماكن الأثرية القديمة المهمة فيها.



المؤلف أثناء تأدية صلاة الجمعة في جامع خسروبيك (على رأسه القلنسوة)

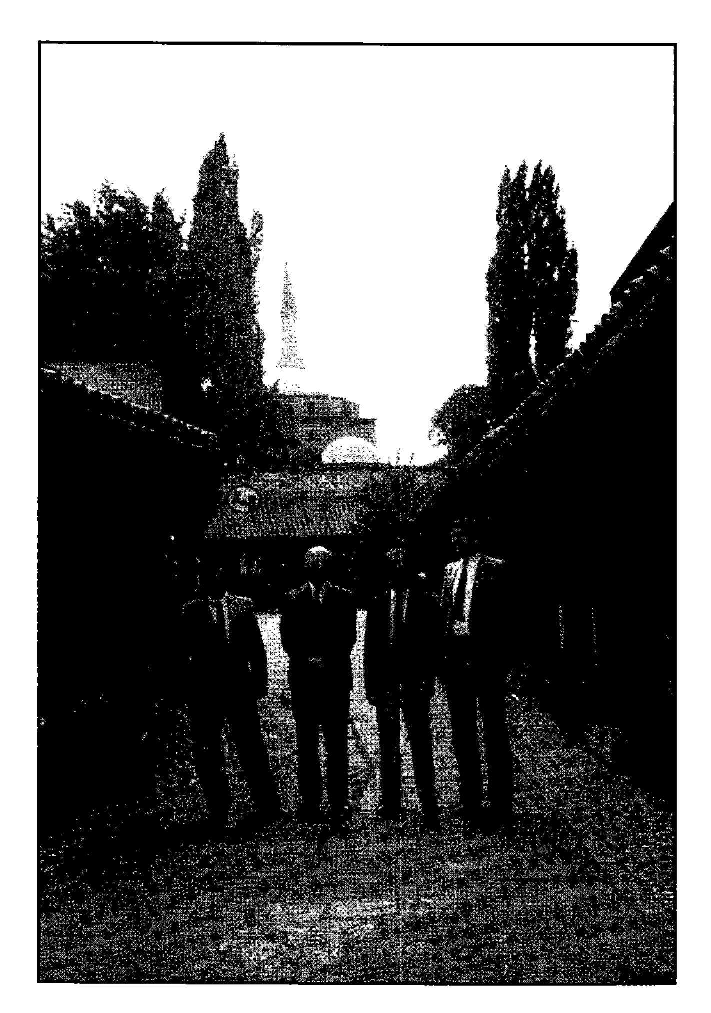
وقد أصبح المسجد يضيق بالمصلين إضافة إلى ما صار يحتاج إليه من الترميم سواء في النقوش أو في الزينة ونحو ذلك، مما جعل المشيخة تقرر القيام بمشروع هام لتجديده ومحاولة توسعته من دون أن يمس الطابع الإسلامي التركي الذي هو عليه بأي تغيير.

وقد أسهمت المملكة العربية السعودية في رصد الأموال اللازمة للمشروع فدفعت مبلغًا يزيد على مائتي ألف دولار لهذا الغرض منذ عدة سنوات ولكن ذلك لم يكف مع ما كانوا قد جمعوه للمشروع فخصصت لهم المملكة أيضًا بواسطة رابطة العالم الإسلامي مائتين وخمسين ألف دولار أمريكي أحملها معي الآن لتسليمها لهم لهذا الغرض وللإسهام في تطوير المعهد الإسلامي في سراييفو الذي يحتاج أيضًا للمساهمة على تطويره.

وقد زين هذا المسجد بخطوط عربية وآيات قرآنية كتبت على حيطانه ومداخله بطريقة فنية قليلة النظير. إلا أنها كما قلت تحتاج إلى تجديد وهم يسعون في تجديدها.

في خان مورج:

غادرنا المسجد بعد الصلاة فخرجنا من بابه مباشرة إلى سوق فيه حوانيت متلاصقة كثيرة على جانبيه قالوا: إن هذه كلها كانت من أوقاف المسلمين على هذا المسجد وإن الحكومة قد صادرتها وهي الآن تحت يدها، تؤجرها للناس وتتقاضى منهم أجرة تدخلها خزينتها أو تشغل بعض الحوانيت ببضائع يبيعها موظفون لها وذلك كله معناه استمرار الاستيلاء على هذه الحوانيت التابعة للمسجد مثلما استولت الحكومة علي أوقاف أخرى من أوقاف المسلمين، والسوق أو الزقاق الذي فيه الحوانيت وهو يفضي إلى المسجد من جهة وإلى ساحة أثرية أخرى تطل عليها أبنية إسلامية قديمة هو ضيق وقد رصفت أرضه بالحجارة، لأن ذلك كان قبل وجود الأسفلت أو قبل شيوع التبليط به.



في المنطقة الأثرية الإسلامية في سراييفو (المؤلف الثاني من اليمين) والأستاذ إبراهيم الخزيم الأول من اليسار.

قصدنا مكانًا كان الإخوة اليوغسلافيون أخبرونا أن المشيخة الإسلامية ستقيم حفلة غداء لنا فيه، وهو نفسه بناء أثري من مخلفات المسلمين وعلى طراز إسلامي عريق هو طراز الخانات القديمة - جمع خان - واسمه كذلك (مورج خان) ومورج هذا الذي نسب إليه هو أحد الأبطال كما أخبرونا ولم يزيدوا على ذلك.

وكان هذا المحل ملكًا خاصًا لأحد المسلمين صادرته الدولة الشيوعية فيما صادرته من الأملاك الأخرى.

وكان قبل ذلك يستعمل (خانا) وذلك يعادل أو يقارب الفندق فالخان ينزل فيه المسافرون بالأجرة وقد يكون فيه طعام يصنع للناس أو علف لدوابهم في القديم.

ويستخدم الآن مطعماً من المطاعم الراقية، وذلك من أجل غرابة هندسته، وطريقة بنائه، فهو يتألف من طابقين بسقوف خشبية غريبة قد طليت بطلاء أحمر كما طليت حيطانه الداخلية بطلاء رث سكري اللون، وكتبت عليها عبارات بالفارسية والتركية وكل ذلك بحروف عربية مثلما كانت عليه الحال عندما بني أول مرة، ومبالغة في إظهار أصله الأثري.

مأدبة يوغسلافية :

قالوا : وقد اطمأن بنا المجلس حول المائدة: لقد اخترنا أن نكون مأدبتنا من الأطعمة اليوغسلافية لأنها أطعمة إسلامية اشتهر المسلمون بصنعها دون غيرهم من أرباب الديانات الأخرى في البلاد.

فقلنا لهم : هذا جيد ولكم الشكر.

حضر المأدبة طائفة من الإخوة العلماء وموظفي المشيخة، كما دعوا إليها وزير الأديان في الحكومة المحلية لجمهورية البوسنة والهرسك إلا أنه لم يكن حاضراً في المدينة فأناب عنه نائبه وهو مسلم الأبوين قال لنا الإخوة وهم يقدمونه إن اسمه (آمر اسماعيلوفيتش) وفسروا (آمر) بأنها من الأمر فقالوا: إن ذلك لكونه يأمر فقلت لهم إنني أعتقد أن (الأمر) ليس كذلك وإنما اسمه (عامر) تحولت على ألسنة الناس هنا إلى (آمر) لكونهم لايستطيعون النطق بالحروف الحلقية كما هو شأن أكثر الغرباء عن العربية في صعوبة نطقهم بالحروف الحلقية أو عدم استطاعتهم ذلك.

لاسيما أنهم أخبرونا أنه اسم إسلامي عريق معروف عندهم، وهذا هو دأب الأعاجم من المسلمين الذين تعودوا على تسمية أولادهم بأسماء إسلامية لايفهمون معناها شأنهم في ذلك شأن العرب المسلمين الذين يسمون أولادهم بأسماء إسلامية عريقة أصلها أعجمي لايدركون معناه مثل إسحاق ويعقوب وإسماعيل.

وأخبروني أن وزير الأديان من أبناء المسيحيين وأن نائبه (عامر) هذا من أبناء المسلمين إلا أنهم قالوا إن الوزير يجامل المسلمين في المعاملة وإن لم يكن مسلماً.

وقد قلنا في أحد الرجلين: إنه من أبناء المسلمين والآخر: إنه من أبناء المسيحيين ولم

نقل إن أحدهما مسلم والآخر مسيحي لأنه لا مجال في البلدان الشيوعية في الوظائف الكبيرة لغير الشيوعيين ولا مجال أيضًا للرجل لكي يكون مسيحيًا أو مسلمًا بمعنى أنه يكون متمسكًا بديانته ويحتفظ في الوقت نفسه بوظيفته الكبيرة لأن معنى كونه متدينًا إنما يعادل كونه عدو النظام الشيوعي الذي تعتنقه الدولة لأنه يخالف مبدأ مهمًا من مبادئ الحزب الشيوعي وهو الإلحاد على تفاوت بين الأحزاب الشيوعية في البلدان المختلفة في تطبيق هذا الأمر.

ذلك بأن الأحزاب الشيوعية تعتنق الإلحاد وتلزم الحكومات الشيوعية المنبثقة عنها بالدعوة إلى الإلحاد ومقاومة التدين، وبعضها يلزم نفسه، والأعضاء العاملين فيه بذلك، ولكنه لا يدعو غير المنظمين للحزب من أبناء الشعب إلى الإلحاد ولا يقاوم التدين مثل ما عليه الحال في يوغسلافيا، التي تعتبر من أقل الأقطار الشيوعية سوءًا في هذا المجال ولا نقول من أحسنها، وإن كان العرب قد قالوا في أمثالهم.. «إن في الشر خيارًا».

وفي هذا الصدد عرفنا أن الموظف الحكومي الكبير في الدولة أو الحزب لا يستطيع أن يجاهر بأداء العبادة في مكان عام كأن يصلي مع الناس صلاة الجمعة إذا كان مسلمًا أو يحضر العبادة في الكنيسة يوم الأحد إذا كان مسيحيًا، لأن ذلك يعني أن يفقد وظيفته المهمة في الدولة أو الحزب لأنه بذلك يعتبر مخالفًا لمبادئ الحزب.

وذلك بخلاف ما إذا كان الشخص من سائر الناس الذين ليست لهم علاقة قوية رسمية بالحزب أو الحكومة فإنه يستطيع أداء العبادة في أماكن العبادة متى شاء وكيف شاء من دون أن يعترضه معترض على ذلك.

على أنه يوجد من يكون متدينًا يخفي تدينه من أعضاء الحزب الشيوعي أو من كبار موظفي الدولة ولكنه لا يستطيع إظهار ذلك وإعلانه.

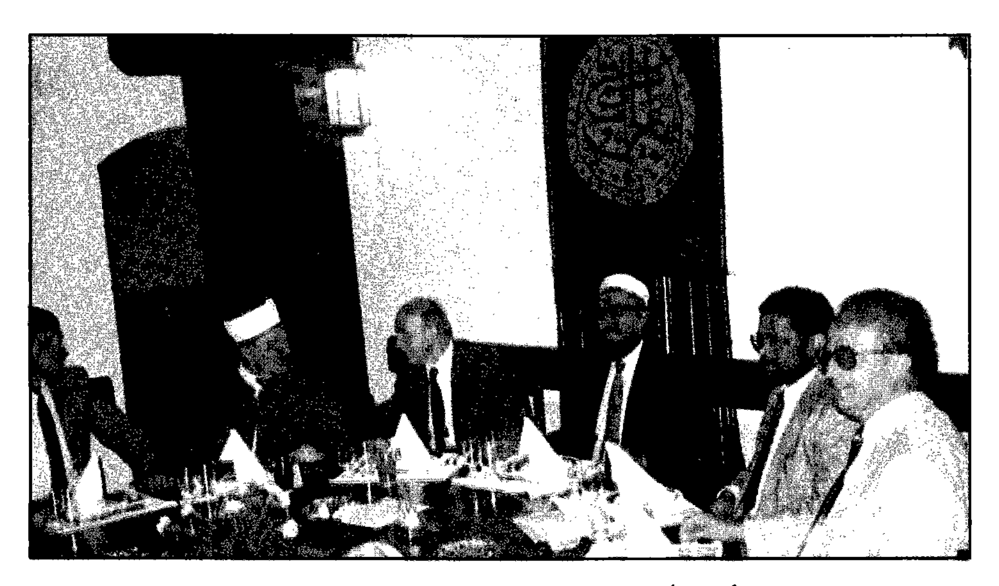
وليس معنى هذا الكلام أنه يجوز شرعًا للمرء أن يكون كذلك، وإنما نحكي الواقع الذي علمنا به عن أحوال الناس هنا.

ومن الأمثلة على ذلك قصة رجل ذكر أحد العاملين الكبار في المشيخة أنه يعرفه وأنه

موظف كبير في الدولة من أبناء المسلمين الذين يكتمون إيمانهم وأنه جاء إليه مرة وهو في غاية التأثر يقول له سوف أفعل ذلك ولو فصلت من وظيفتي الكبيرة، يشير بذلك إلى ختان ابنين له لأن الحكومة اليوغسلافية تمنع الختان على اعتبار أنه في نظرها مظهر من مظاهر الخلاف بين أبناء الأمة اليوغسلافية ولاتجيزه.

يقول ذلك المسلم الذي يكتم إسلامه : إنه سيذهب بولديه إلى المستشفى ويختنهما وليحدث بعد ذلك مايحدث ولو كان ذلك معناه خسارة وظيفته ومستقبله قال لي محدثي فقال له قائل منا: لماذا لاتترك هذه المهمة لزوجتك فهي غير موظفة في الدولة وهي تستطيع أن تتولى مهمة الختان من دون أن تستطيع الدولة أن تسيء إلى مستقبلها قال: وربما يفعل ذلك شرط أن لايثبت عليه أنه (تواطأ) مع زوجته على ذلك لأن مجرد علمه بالختان وسكوته عليه هو مما يؤاخذ عليه عند الحكومة على اعتبار أنه مخالفة قانونية كما تزعم هذه الحكومة الشيوعية.

أما المائدة فهي وطنية خالصة فيها الطاجن وهو إناء من الفخار يوضع فيه لحم الغنم مع الخضروات والتوابل ويقدم كذلك للآكلين يحوم فوقه بخاره ولايمكن مسه إلا بوقاية.



أثناء المأدبة في خان مورج مع الإخوة اليوغسلافيين

وقد ذقته لذيذ الطعم، يكاد المرء يأكله كله مع وجود أطباق غيره للذته وهم يقدمون (طاجنًا) واحداً لكل آكل. وفيها ما هو مألوف من الحساء والشواء.

وهناك الحلوى وهي البقلاوة لم يتغير فيها شيء حتى اسمها لايزال باللغة اليوغسلافية (البقلاوة).

وكانت حلاوة المائدة التي هي أحلى من البقلاوة وغيرها ما دار عليها من أحاديث تضمنت معلومات ومناقشات في أمور لايمكن الإطلاع عليها فضلاً عن مناقشتها مناقشة تفصيلية إلا في أماكن مثل هذا المكان.

وقد انبرى عامر أو (الآمر) يشرح سياسة الحزب الحاكم والحكومة المنبثقة عنه وتبين أنه مثقف ثقافة (اشتراكية) واسعة فهو يتكلم عن النظريات ومايكتنف تطبيقها من صعوبات، ويقول: إنه يجب على الأحزاب الاشتراكية الحاكمة أن تستفيد من أخطائها.

وفيما يتعلق بالإسلام هو يركز على الحرية الدينية في البلاد شرط ألا يضر ذلك بالآخرين وألا يكون اتباع دين معين فيها سببًا من أسباب الفرقة (النزاع بين طوائف الشعب على حد قوله).

ويقول: إن العلاقات بين الدول يجب أن تقوم على أساس الصداقة والتفاهم دون التدخل في الشئون الداخلية لتلك الدول، وإن اختلفت أنظمتها الاجتماعية.

وقد ذكرتهم بالأمجاد الإسلامية القديمة التي هي مدعاة لفخر جميع المسلمين حتى إن أهم الآثار التي تتميز بها هذه المدينة (سراييفو) مثلاً هي المساجد والأبنية الإسلامية.

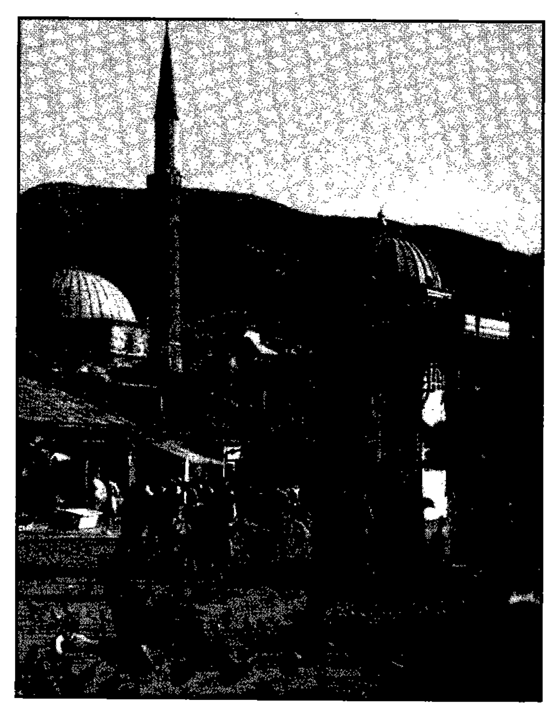
ثم ذكرت لهم أن هناك صحوة إسلامية عامة بين المسلمين كما أن هناك مداً إسلاميًا ظاهراً في جميع أنحاء العالم ولله الحمد، حتى بالنسبة إلى البلدان التي لم يكن يوجد فيها مسلمون مثل جزر (تونقا) التي تقع في ركني قصي من جنوب المحيط الهادئ، فقد دخلت أول جماعة من أهلها في الإسلام منذ حوالي عشرين شهراً إذ أسلم أحد القسس فيها فجعل يدعو إلى الإسلام حتى بلغ عدد المسلمين فيها الآن اثنين وتسعين شخصًا فاستأجروا لهم مكانا يصلون فيه. وبدأوا بدعوة غيرهم إلى الإسلام.

ومايزال بعض المسلمين في البلدان الإسلامية العريقة، وبخاصة في المملكة العربية السعودية يبذلون قصارى جهودهم في التعاون مع إخوتهم المسلمين على البر والتقوى وتقديم مايستطيعون الإسهام به في المشروعات الإسلامية وربما يكون من أقرب الأمثلة إلى ذلك التعاون الحاصل بين رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وبين المشيخة الإسلامية في يوغسلافيا وغيرها من الجهات الإسلامية.

ميلاسا أو ميدان الحمام :

انقضى الغداء وابتدأت تمشية ممتعة في هذا القسم القديم الإسلامي من مدينة سراييفو فأينما توجهت منه رأيت منارة مسجد شامخة، وقبة لمسجد إسلامي آخر.

وأشهره وأسيره ذكراً ميدان اسمه (ميلاسا) وقد سميته (ميدان الحمام) بتخفيف الميم - لأن الحمام فيه لا يذار فترى الحمامة منه تقع على يدك أو رأسك - إذا شئت - وتسير بين قدميك لاتكاد تفسح لك الطريق حتى تنقل قدميك ببطأ وعلى حذر.



ميدان الحمام في سراييفو

ذلك بأن المسلمين في هذه الجمهورية جمهورية البوسنة والهرسك قد اختاروا الإسلام ثقافة قومية لهم لأن من حق كل جمهورية من جمهوريات الدولة اليوغسلافية الاتحادية أن تختار لها ثقافة قومية تؤكد تميزها واستقلالها الداخلي فاختار أهل هذه الجمهورية الثقافة الإسلامية وهم يقولون الثقافة الإسلامية. ولايستطيعون أن يقولوا: الديانة الإسلامية. لأن دستور الدولة الشيوعية يقر الثقافات القومية للشعوب التي تتألف منها دولتهم، ولكنه لايقر الديانات.

غير أن الإسلام هو الدين الغالب على سكان هذه الجمهورية الداخلية (جمهورية البوسنة والهرسك) من حيث كونه أكثر الديانات اتباعًا فيها قله الأغلبية النسبية وليست الأغلبية المطلقة إذا اعتبرنا جميع السكان.

ذلك بأن المسلمين يؤلفون نسبة ستين في المائة من سكان سراييفو العاصمة الإقليمية فلهم الأغلبية المطلقة فيها غير أن عددهم في كل أنحاء جمهورية (البوسنة والهرسك) يؤلف ٤٠٪ وهذه أغلبية نسبية فهم أكثر الطوائف في هذه الجمهورية الداخلية إذ لايوجد فيها أتباع ديانة أخرى يؤلفون نسبة تصل إلى هذه النسبة ٤٠٪.

ويبلغ سكان جمهورية البوسنة والهرسك خمسة ملايين نسمة أما بقية السكان فإنهم مسيحيون غير أنهم من أمم مختلفة حتى يعدوا كل مذهب دينًا مستقلاً بنفسه فأكثرهم من الأرثوذكس يليهم الكاثوليك ثم البروتستانت الذين لاتتجاوز نسبتهم ٢٪ وهناك اليهود وقد تقلص عددهم في الأزمنة الأخيرة.

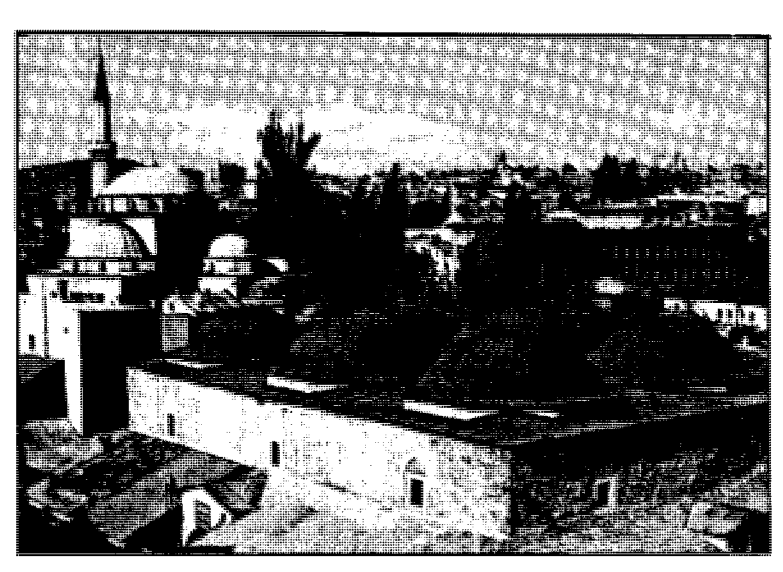
ولذلك اتخذ أهل هذه الجمهورية شعارًا لها مستوحى من الثقافة الإسلامية وهو منارة مسجد تحيط بها نخلتان.

وفي هذه المدينة سراييفو وما حولها يحرم قتل الحمام وعلى من يفعل أن يتحمل غرامة وربما تحمل سجنًا إذا تكرر منه ذلك، ويعللون ذلك بأن الحمامة هي التي كانت من بين الطيور قد أسهمت في إبعاد المشركين الذين كانوا يتبعون رسول الله ﷺ يريدون قتله مع صاحبه أبي بكر الصديق في الغار فعششت الحمامة وباضت على بابه فما رآه المشركون قالوا: لو كان فيه أحد لما فعلت هذه الحمامة ذلك الأمر.

وهذا من أسباب كون الحمام في مدينة سراييفو وبخاصة في هذا الميدان (ميلاسا) آمنًا لا يذار، أليفًا لا ينفر.

وقد انضم إلى تعظيم الحمامة عندهم تعظيماً مستوحى مما ذكرته أسباب سياحية اقتصادية أخرى في هذا الزمن الذي ازدهرت فيه السياحة وكثر فيه السائحون الذين ينفقون الأموال التي تحتاجها البلاد فحرصوا على تأكيد ألفة الحمام في هذا الميدان وأمثاله فكان السياح يمدون فيه أكفهم بالحب للحمام فيسرع بالوقوع على أيديهم وأذرعهم يتلقط منها هذا الحب فيكون في ذلك متعة وتسلية.

سراييفو : مدينة المساجد :

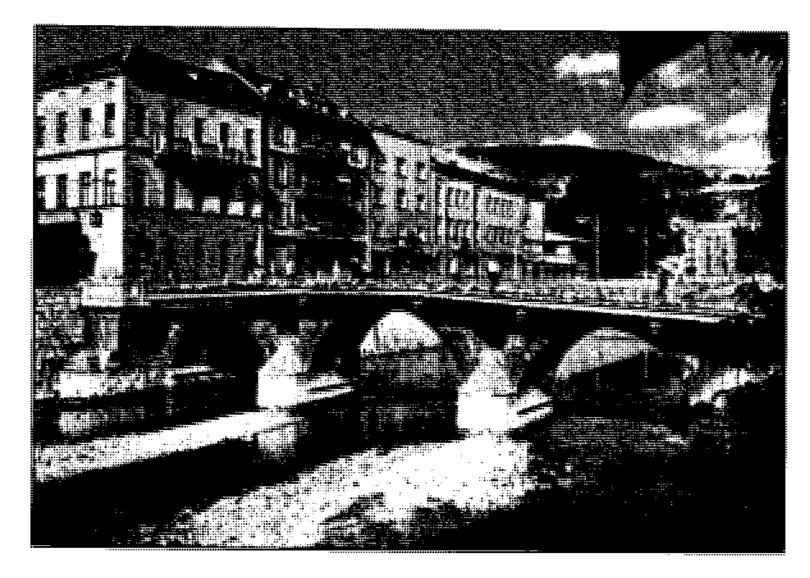


مسجد ومبنى إسلامي من العهد العثماني في يوغسلافيا

أينما توجهت ببصرك من هذا المكان وجدت مسجداً ذا منارات شامخة وقباب جميلة. وكل هذه المساجد هي تاريخية أو ذات قيمة أثرية عظيمة.

ويبلغ عدد المساجد في مدينة سراييفو ثلاثة وسبعين مسجداً كلها ماعدا اثنين أوثلاثة قديم البناء عريق الطراز.

نهر سرايفو :



جسـر على نهـر
ســـرايـــفـــو

هو نهر صغير يخترق الجزء القديم من المدينة، بل إنها أقيمت على ضفتيه، وبعضهم قال: إنها نسيت إليه فسميت باسمه فسرايفو معناها: قصر النهر والنهر المقصود هنا هذا الذي يسمى الآن سرايفو.

ويصب هذا النهر في نهر (البوسنة) على بعد عشرة كيلات من قلب المدينة وهو أيضاً يشير اسمه إلى جنس (البوسنة) أكبر الأجناس في هذه الجمهورية وهم كذلك أكبر الأجناس المسلمة في جمهورية يوغسلافيا الاتحادية.

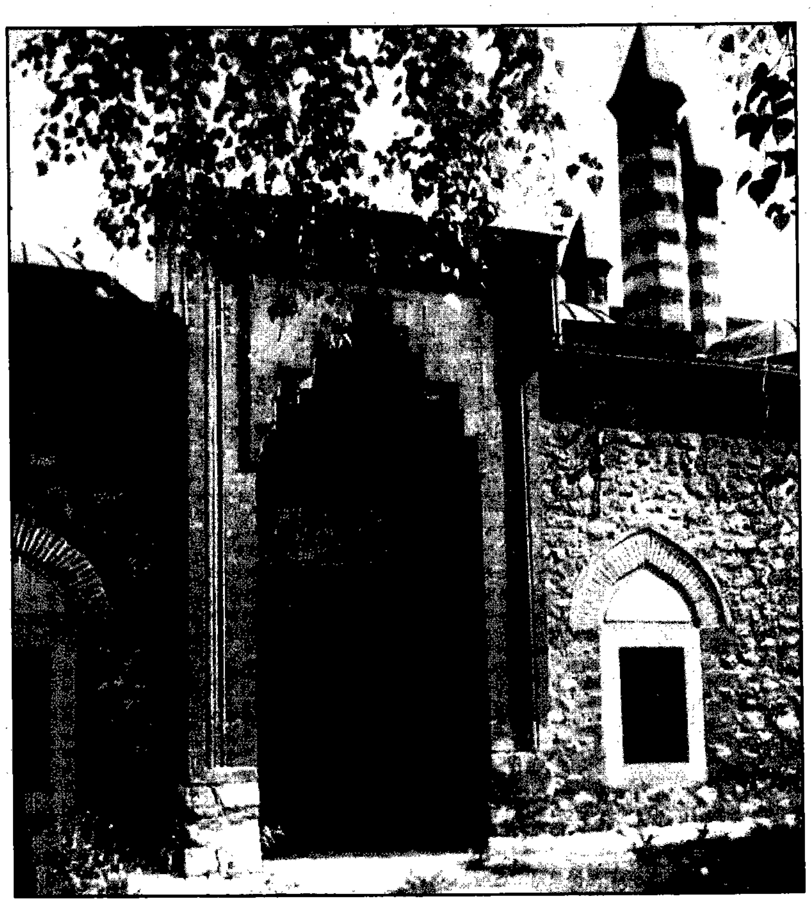


المؤلف على جسر فوق نهر سرايفو

ويشـاركه السكنى في الجمـهورية جـنس آخر أقل منه عـدداً ولكنه ليس أقل إسـلامًا وهو (الهرسك) مع أن الجنسين كليهما ينتـميان للجنس السـلافي الذي سكن في شرق القارة الأوروبية من بولندا حتى بلغاريا .

وتحفل ضفتا النهر وماقرب منه بأبنية أثرية فريدة ، ومواضع تاريخية مهمة .

مكتبة خسروبيك :



مدخل مكتبة خسروبيك

من تلك الآثار الإسلامية الثـمينة عدا الجوامع التي لايبعد بعضها عنـها إلا قليلاً مكتبة أثرية قديمة اسمها مكتبة الغازي خسروبيك وهو الذي أضيف إليه الجامع الرئيسي الكبير في المدينة (جامع خسروبيك) .

أول ما يصافح بصرك وأنت تقترب من هذه المكتبة لافتة عربية أصيلة كتبت بخط تركي جميل: بسم الله الرحمن الرحيم . . فيها كتب قيمة . . ١١٧٣هـ).

وهذه اللافتة العربية هي عنوان صادق لما تحفل به هذه المكتبة القيمة - بالفعل - من مخطوطات عربية علمية ذات قيمة تاريخية ومن مخطوطات أخرى خطت بالحروف العربية ولكن من لغتين شقيقتين للعربية هما التركية والفارسية.

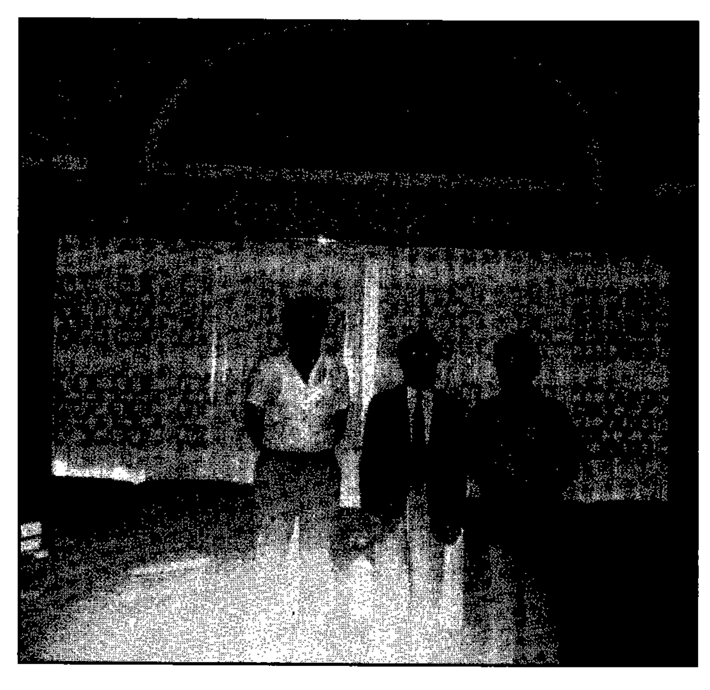
إلى جانب بعض المأثورات الثقافية الأخرى.

وهي مثل جامع خسروبيك منسوبة للغازي خسروبيك لأنه هو الذي بناها، كما بني المعهد الذي يسمى الآن (معهد خسروبيك) وكان ذلك في القرن العاشر الهجري.

استقبلنا مديرها الأخ (محرم أوموري) أو محرم عمر وكان في الانتظار إذْ زيارة هذه المكتبة هي إحدى الفقرات المهمة في البرنامج.

فكان الإطلاع أول الأمر على معرض في الطابق الأرضي من المكتبة للوثائق والكتب المطبوعة ذات القيمة الفنية ومن ذلك شرح لديوان حافظ الفارسي مطبوع في عام ١٨٣٤م ومخطوطات يوغسلافية، ومناظر لأماكن تاريخية .

شفاء القلوب : لقاء المحبوب.

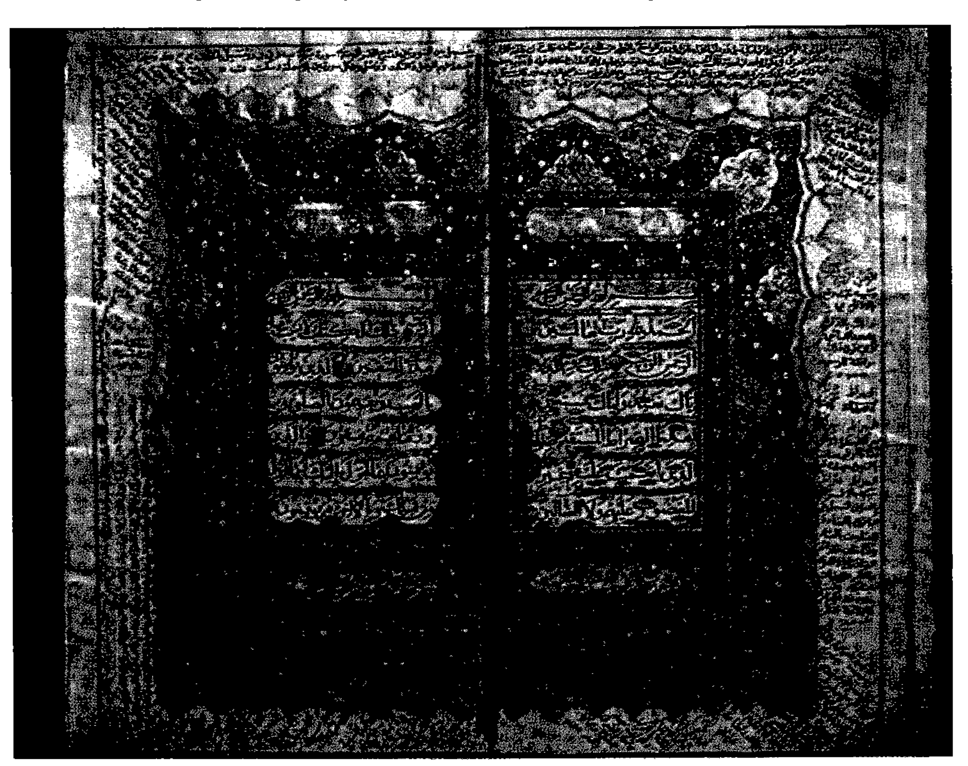


تحت اللافتة التي تقول (شفاء القلوب، لقاء المحبوب) في مكتبة خسروبيك.

بهذه اللافتة العربية الفصيحة استقبلتنا قاعة المخطوطات العربية المهمة في الطابق الثاني من المكتبة.

وقد كتبت اللافتة: شفاء القلوب، لقاء المحبوب، على هذه القاعة، وربما فسر المحبوب هنا بأنه الكتب العلمية وأن محبيها هم طلبة العلم وربما فسر على ظاهره، ولكن اللافتة جميلة بمثابة الشعار لهذه القاعة.

وقد رأيت فيها نفائس من المصاحف والمخطوطات العربية والتركية والفارسية.



فاتحة مصحف مخطوط في مكتبة خسروبيك

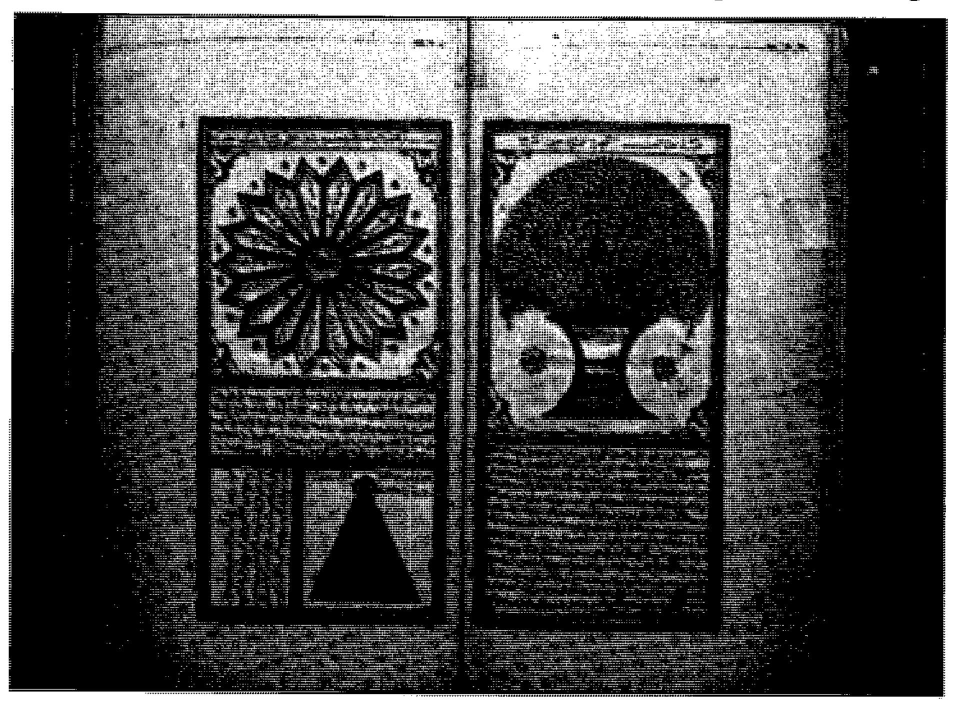
وأقدم مخطوط عربي فيها كتب في عام ٥٤٥ للهجرة وهو كتاب في الفقه غير معروف العنوان كتب على أوله بالتركية: (فقه بير كتاب غير معلوم) إذْ سقطت الورقة الأولى منه التي فيها عنوانه ولكن الأكثر أهمية منها هي الورقة الأخيرة التي فيها تاريخ كتابته التي مضى عليها أكثر من ثمانمائة سنة.

وقد سجل كاتبه اسمه وتاريخ كتابته فقال: كتبه شريف أبو مضر بن أبي تراب العلوي . . . الحسيني في عام خمس وأربعين وخمسمائة.

وأخبرونا أن المكتبة تضم خمسة عشر ألف كتاب مخطوطة ومنها كتب نادرة بالعربية مثل القانون في الطب لابن سيناء وهي نسخة وحيدة في جميع أنحاء العالم كما أخبرونا وفيها نفائس من الكتب التركية والفارسية أيضاً.

وفي جلسة في مكتب الإدارة جرى حديث مفيد عن إنشاء هذه المكتبة بصفة خاصة، وعن شئون المسلمين بصفة عامة.

وأخبرونا أن المشيخة الإسلامية اليوغسلافية، وهي الجهة الإسلامية العليا المعترف بها في البلاد كانت تتخذ من هذه المكتبة مقراً لها وذلك قبل أن يشتد ساعدها وتقوى على اتخاذ مقر مستقل لها.



كتاب مخطوط في مكتبة خسروبيك

فهذه المكتبة هي واسعة مزودة بالمرافق اللازمة وقد بنيت لغرض أن تكون مكتبة.

ومع رشفات من الشاي المطيب بالنعناع كانت عيوننا تترشف كتبًا مفيدة نادرة موجودة في المكتبة منها سجل كبير ذو شكل مستطيل يتضمن سجلات المحاكم الشرعية في البوسنة منذ عهود قديمة. وهو ذو قيمة تاريخية ولغوية كبيرة إضافة إلى قيمته العلمية بالنسبة إلى ورود أسماء الأسر والممتلكات فيه.

وهذا المخطوط هو النسخة الوحيدة لأنه لم يكتب ليكون كتاباً يستنسخ ويعمم على الناس وإنما هو سجل للمحاكم قصد به تسجيل الصكوك التي كانت قد أصدرتها المحاكم.

وكتاب مهم آخر هو (تاريخ البوسنة منذ عهد آدم عليه السلام) ويقع في ثمانية وعشرين مجلداً وعنوانه: «تاريخ بوسنة» ومؤلفه هو القاضي زاده محمد أنوري وهو باللغة التركية.

وبعد هذه الجلسة التي تمتعنا فيها بالمعلومات وأهدوا إلينا خلالها كتيبًا عن تاريخ هذه المكتبة وسجلت فيها مع رفيقي الأستاذ إبراهيم الخزيم في سجل الزيارات مشاعرنا عن هذه الزيارة كانت:

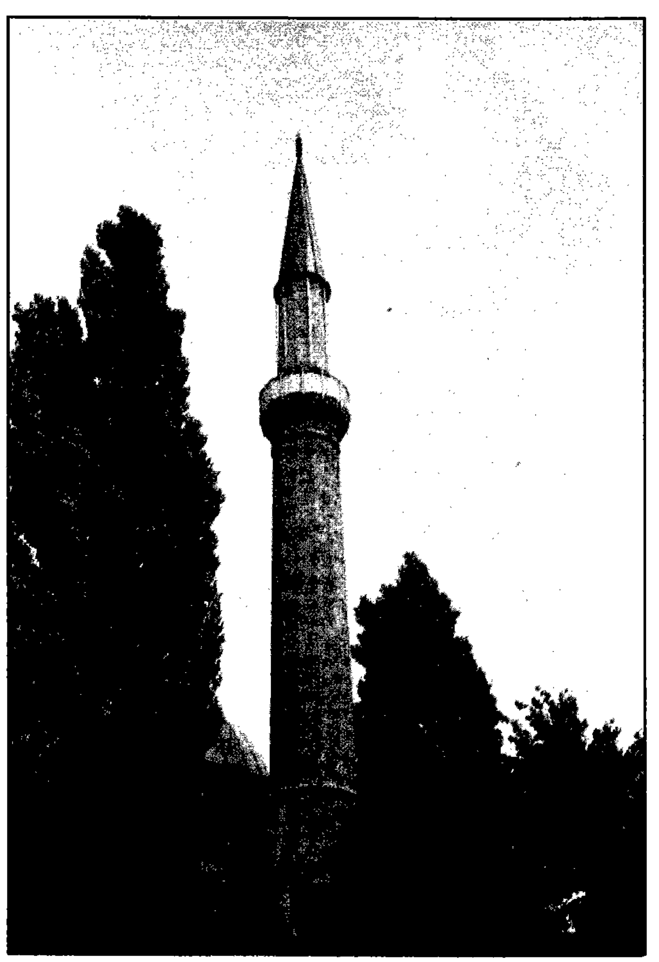
جولة الأقدام:

في قلب المدينة أيضًا وانطلقت من عند المكتبة حيث رأينا جامع السلطان الذي يقع بالقرب من (مكتبة خسروبيك).

وكلمة (سلطان) إلى جانب كلمة (بيك) التركية كلها في حد ذاتها تدل على وجود تاريخي للمسلمين هنا فكيف به إذا كانت مسمياتها مائلة للعيان ولم يغيرها الحدثان بل إنها أصبحت تتجدد على مر الزمان، لأنها حتى وإن لم تتجدد عمارتها فإن أهميتها التاريخة تتجدد كلما طال عهدها وبخاصة في هذا الجزء من القارة الأوروبية التي أصبح الدين الإسلامي فيه غريباً غربتين: إحداهما غربة المحيط البشري النصراني والثاني: غربة الإيمان في هذا الجو الشيوعي الملحد.

ولكن الله سبحانه وتعالى حافظ دينه ومعلٍ كلمته ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾.

كنا نتمشى والأشجار الباسقة على الأرصفة وفي الحدائق حتى في البيوت وخارجها تطاول السماء في سموق عجيب قليل النظير حتى إن بعضها تكاد تطول رأس منارة أحد المساجد التي لايقل ارتفاعها عن عشرين متراً.



فسألت الأخوة المرافقين بهذه المناسبة عما إذا كانت بلادهم تتعرض في العادة لأعاصير شديدة أو رياح عاتية فنفوا ذلك وقالوا: إنها غير معتادة في هذه البلاد فقلت: هذا من أسباب علو هذه الأشجار وذهابها في السماء.

وإلى الشرق من مدينة سراييفو تلال جبلية جميلة، بل رائعة الجمال فهي مجللة بالخضرة مرقشة بالبيوت النظيفة المظهر وتكاد شوارع المدينة القديمة وأزقتها تشرع كلها إلى تلك التلال، وإذا لم تكن كذلك فإن هذه التلال الجميلة لاتستكين للاختفاء أو الإنزواء، بل هي تطل عليك بطلعتها النضرة أينما وجهت بصرك إلى جهة الشرق أو الشمال.

وإذا ترك المرء النظر إلى هذه التلال الخضرة النضرة وسرح بصره في الوجوه التي تصافح عينيه ونقل بصره ما بين مياه نهر سراييفو الرقراقة وبين هذه الوجوه التي يترقرق فيها ماء الصبا فإن لسان حاله أو مقاله لاشك – سينشد قول الشاعر:

ثلاثة مذهبة   لكل هم وحزن

الماء والخضرة   والوجه الحسن

وهي هنا كلها موجودة، بل شاهدة مشهودة وهو لايجد مثلها في النضارة والطراوة في بقية أنحاء البلاد اليوغسلافية، ويأتي الخيال ليتساءل عن السر في ذلك؟ ثم يجيب نفسه بنفسه – إن صح أن للخيال نفساً – فيقول: إن السبب في ذلك أو في جزء منه أن هؤلاء أكثرهم من المسلمين والمسلمون بطبيعة دينهم الإسلامي الحنيف لايشربون الخمر والخمر إذا أكثر المرء من شربها وهو شاب كدرت صفاء لونه وجمدت نقاء بشرته أما إذا كان يفعل ذلك وهو شيخ فإنها بلاشك تسبب له المزيد من التجاعيد وخشونة البشرة واستحالة اللون إذا أبطأ عنها.

وقال الخيال أيضاً: إنه ربما كان للجو الجيد هنا دخل أيضاً فالبلاد باردة وهي مرتفعة ارتفاعاً نسبياً وبعيدة عن البحر الذي يطلق أبخرة قد تؤثر في الألوان فتمنع صفاءها أو تؤثر – على الأقل – في شفافيتها.

مسارح تاريخية:

غير بعيد من مسجد السلطان الذي تمت عمارته قبل عمارة جامع خسروبيك بعشرين سنة على وجه التقريب، وجامع خسروبيك كان بناؤه على ما سبق ذكره في عام ١٥٣٠م رأينا على ضفة النهر بناء عربي الطراز بل يكاد يكون اندلسي الهيئة فسألت عما

إذا كـان هذا مبنى إسـلاميًا قديمًا فـأجابوا كـلهم بالنفي وقـالوا: إنه ليس لشيء من ذلك ولكن بانيـه كـان أحد الحـكام القدمـاء مـحبًا للطراز الإسـلامي في البناء فـبناه على هذه الصفة الإسـلامية العربية واتخذ بعـد ذلك مقرًا لبلدية مدينة (سراييـفو) ثم هو الآن تشغله (مكتبة الجمهورية).

ثم وقفنا على مسرح الحادثة التي كـانت الشرارة الأولى التي بدأت في الحرب العالمية الأولى وكان هذا المكان الذي قتل فـيه ولي عهد النمـسا المدعو (فيرناند) قـتله الصربيون الوطنيون في منظمة الشباب وهم يوغسلافيون كما هو ظاهر.

وكانت يوغسلافيا آنذاك مـستعمـرة محتلـة فكان مقتله السـبب المباشر لقيـام الحرب العالمية الأولى وذلك في ٢٨ حزيران – يونيو – عام ١٩١٤م.

ووجدت القوم قد احـتفوا بهذا الحدث وحق له ذلك لأنه أثار حربًا عـالمية غيرت من مـجرى التـاريخ الإنسـاني ورفـعت أممًا وخـفـضـت أخـرى، بل أوصلت بعـضـهـا إلى الحضيض.

وقد أوضح القـوم مكان وقوف الأميـر (فرناندو) أثناء قتله بأن صـبوا فوقـه مربعًا من الأسمنت ثم غمسوا فيه رجل شخص قبل أن يجف الأسمنت فبدا مكانها واضحًا.

ورأيت السيـاح والزوار يقفون عنده ويصورون أنفـسهم وزملائهم ليسـجلوا ذكرى زيارتهم ولقد فـعل الرفاق بنا ذلك غيـر أن المصورة خانتنا عندمـا افسدت شـريطًا كانت عليه هذه الصورة وصورًا غالية أخرى.

وذكرني منظر القدمين المطبوعين على الأسـمنت لهذه المناسبة وهو الذي فعله هؤلاء القوم اليـوغسلافيون المحـدثون بعمل مماثل له عمله قـوم من القدماء بجبل عـالٍ في جزيرة سيـلان حينما أخـذوا يعتـقدون أن حجـرًا في رأس هذا الجبل هو الذي هبط فـيه آدم أبو البشـر من الجنة وأن آثار قدميـه عندما وصل إلى هذا الجـبل الذي هو أول موضع أرضي تلمسه قدماه هي باقية من ذلك التاريخ السحيق إلي هذا العصر الحاضر ناسين أو متناسين مـا جرى على الأرض من تـغيـرات جغـرافية، مـن زلازل وبراكين، وما أصـاب ذلك

المكان مثلما أصاب غيره من تغيرات جوية ما بين رياح عاتية وسيول جارفة مما يمسح - على مر الدهور - ما هو أعظم من ذلك .

ويقع هذا المكان في شارع يسمى الآن : (شارع جيش يوغسلافيا) أو (يوغسلافكي آرمي) بلغتهم .

مشيخة البوسنة والهرسك :



عند مدخل المشيخة الإسلامية

عقدنا اجتماعًا رسميًا - إن صح التعبير - لأننا أجرينا فيه جلسة مباحثات مع هؤلاء الإخوة اليوغسلافيين حول التعاون ما بين رابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها منصب

الأمين العام المساعد وبين المشيخة الإسلامية اليوغسلافية.

وهو تعاون متجدد إذ التعاون - في حد ذاته - كان قد بدأ منذ سنوات ولم تزده السنون إلا ازدياداً وقوة.

وحضر هذا الاجتماع طائفة من الإخوة اليوغسلافيين على رأسهم الأخ الشيخ عبدالرحمن هوكيتش مستشار المشيخة الذي ينوب عن رئيس علماء يوغسلافيا في غيابه وهو مع بعض الاخوة الحاضرين يجيد العربية ويحدثنا بها مثل الأخ الشيخ (مرزوق) الذي تعلم في مصر وتزوج من مصر أيضًا مثلما فعل زميله ومواطنه الشيخ أحمد اسباهيتش مفتي بلغراد.

فكان الحديث كله بالعربية وإن كانوا في بعض الحالات يضطرون إلى ترجمة بعض مايدور في الاجتماع إلى اللغة اليوغسلافية ليفهمه الاخوة اليوغسلافيون الذين لايفهمون العربية وقد سلمتهم أثناء هذا الاجتماع صكًا (شيكًا) بمائتين وخمسين ألف دولار أمريكي وهو جزء من المساعدة المالية التي قدمتها المملكة العربية السعودية عن طريق رابطة العالم الإسلامي إلى هؤلاء الإخوة المسلمين الأعزاء.



المؤلف يسلم شيكاً بالمبلغ الذي تبرعت به المملكة العربية السعودية وهو ٢٥٠ ألف دولار أمريكي في مقر المشيخة الإسلامية في سراييفو.

وقد عقد الاجتماع في مقر المشيخة الإسلامية لجمهورية البوسنة والهرسك خاصة وهو فرع من المشيخة الإسلامية العليا التي تشمل يوغسلافيا كلها.

وخرجنا من هذا المبنى على سيارتين جديدتين كلتاهما تخص المشيخة الإسلامية، لزيارة مقر (المشيخة الإسلامية العليا) في يوغسلافيا، وهي التي تشرف بصفة رسمية على النشاط الإسلامي في يوغسلافيا كلها وتعمل على مصلحة المسلمين في كل أنحائها وأهم ماتشرف عليه من ذلك دوائر الافتاء والمفتين الذين يوجدون في كل ولاية أو مدينة كبيرة يوجد فيها مسلمون في يوغسلافيا.

كما تشرف أيضًا إشرافًا عامًا على اختيار أئمة المساجد وعلى قيامهم بعملهم.

وهذا لاينفي مايقوم به المسلمون من جهود إسلامية في مناطقهم ومدنهم، وإنما الإشراف الرسمي الذي تعترف به الحكومة اليوغسلافية هو للمشيخة الإسلامية العليا هذه.

ويقع مكتب المشيخة الإسلامية العليا ليوغسلافيا هذا في ضاحية جيدة من المدينة بخلاف مقر المشيخة الإسلامية للبوسنة والهرسك فإنه واقع في القسم القديم من قلب المدينة قريبًا من فندق (أوروبا).

جولة في ريف سراييفو :



المؤلف في ريف سراييفو يكتب بعض الملاحظات

بعد الانتهاء من تفقد المشيختين العامة والخاصة في سراييفو خرجنا مع الإخوة المسئولين في المشيخة إلى جولة خارج مدينة سراييفو لرؤية ريف هذه الدارِ من دور المسلمين وبخاصة أن الجو ملائم لذلك فهو شامس دفيء بل يكاد يكون حاراً بالنسبة إلينا. أما بالنسبة إليهم فإنه حار جداً، ولذلك تخففوا من اللباس - ما عدا الإخوة العلماء بطبيعة الحال - فإنهم لابد لهم من أن يظهروا بالملابس الرسمية الكاملة وهي هنا البدلة الإفرنجية الكاملة فوقها الطاقية أو العمامة على أن تلبس فوقها جبة شبيهة بالمعطف الطويل، بدلاً من السترة (الجاكيت) في مواطن ممارسة العبادة مثل إمامة المسجد ولكن اللباس الإفرنجي هو الذي يكون عليه الحال في الأماكن المعتادة. كنا في سيارتين من سيارات المشيخة إحداهما جديدة علينا، أي لم نرها من قبل.

اخترقنا ضواحي مدينة سراييفو الجميلة متجهين جهة الشمال الشرقي قاصدين أحد الجبال الخضر الذي تطل على مدينة (سراييفو) وذكرتها من قبل.

فسرنا مع طريق جيد إلا أنه غير بالغ السعة، والسيارات فيه كثيرة بالنسبة إلى كون البلاد بلاداً شيوعية مضيقاً على أهلها في أرزاقهم، وإلا فإنها قليلة بالنسبة إلى بلاد حرة ذات اقتصاد مزدهر مثل بلادنا السعودية.

واستمر الطريق في الصعود فيما يسمونه (فراسا) ومعناه: الجبل بلغتهم.

وقد وقفنا في مكان مرتفع جميل من جبل يظل مباشرة على المدينة ولكنه ليس أعلى الأماكن فالجبل ذو تلال متصلة تتدرج في ارتفاعها.



مع الإخوة اليوغسلافيين في المنطقة الجبلية القريبة من سراييفو

ويبلغ ارتفاع المكان الذي وقفنا فيه تسعمائة وعشرين متراً عن مستوى سطح البحر أي أعلى من مدينة (سراييفو) بحوالي أربعمائة متر لأن المدينة ترتفع عن سطح البحر بخمسمائة وثلاثين متراً.

ومنه يرى المرء القسم الحديث من المدينة واضحًا تحته كما يرى القسم القديم على بعد إلا أن إخواننا أخبرونا أن المنظر الرائع هو مكان في قمة هذا الجبل سنذهب إليه يرتفع عن سطح البحر بألف ومائة وعشرة أمتار وأن المرء يرى منه المدينة وبخاصة القسم القديم منها بمآذنه ومساجده وكأنها في وادٍ عميق.

وقفنا قليلاً في هذا المكان الجميل نستجلي منظر المدينة تحتنا والجبال المجللة بأشجار الغابات تطل علينا والهواء الذي توقعنا أنه يكون بارداً وجدناه ليس كذلك فالجو حتى هنا يكاد يكون حاراً لم نستطع فيه تحمل لباس السترة فخلعناها في هذا الجو الشمالي المرتفع.

وهذا شيء لم نكن نتصوره في هذا الجو الشمالي الذي رأيته في الشتاء بارداً بل ثالجًا كأقسى ما يكون البرد.

ويوجد طائفة من المتنزهين في هذا المكان الذي يستحق أن يذهب إليه.



سرايفو كما ترى على البعد من المنطقة المرتفعة

وذكرت بهذه المناسبة وأنا أنقل البصر من منظر المدينة الجميلة في الأسفل إلى منظر الجبال في الأعلى أماكن عديدة مشابهة تطل الجبال الخضر فيها على مدنها أو عواصمها ومن أظهرها في ذلك مدينة (كيتو) عاصمة الإكوادور ومدينة (بوغوتا) عاصمة كولومبيا مع الفارق الكبير في الارتفاع مابين هذا المكان وبين مكان تلك المدينتين الأمريكيتين الجنوبيتين فهناك الارتفاع أكثر وهو أيضًا أكثر حدة بمعنى أنه ارتفاع مفاجئ في الأرض وناهيك بمدينة (لاباز) عاصمة بوليفيا التي ترتفع ثلاثة آلاف وستمائة متر عن سطح البحر وهي بهذا أعلى عاصمة في العالم وأعلى منها مطارها الذي يبعد عنها ٢٥ كيلو مترًا ويرتفع عنها أربعمائة متر فيبلغ ارتفاعه أربعة آلاف متر وهو أكثر مطار دولي ارتفاعًا في العالم كله.

ولقد ذكرت حديث هذه العواصم وحالتها في كتب لي مطبوعة أحدها عنوانه: «رحلات في أمريكا الوسطى» تحدثت فيه عن مدينة (بوغوتا) والثاني اسمه «على قمم جبال الإنديز» فصلت فيه القول عن مدينة (كيتو) وفي كتاب ثالث ذكرت مدينة (لاباز) عنوانه: (بين الأرغواي والبارغواي).

إلى قمة الجبل :

ويسمى هذا الذي سنذهب إليه (ترا بافيتش) ولو اسموه بغير ذلك لما زادنا ذلك فهمًا لمعنى اسمه.

فاستأقفنا السير في الطريق الجبلي الجيد رغم ضيقه لأنه بني في لحف الجبل وإن كان ذلك لم يجعله وعرًا شديد الوعورة إلا أن المرء يشاهد على يمين الطريق واديًا واسعاً عميقًا قد جللت سهولة الحقول، وكست الأماكن الوعرة فيه أشجار الغابات في خضرة شاملة جميلة لأنها كلها مما غرس وصين، وليست غابات عذراء أو حشائش فطرية وحشية.

بل يكاد المرء يسارع ويقول: إن هذا الجبل في وقتنا الحاضر قطعة من الجنة في جمال منظره وتنوع مظهره واعتدال جوه وعدم وجود المساكن أو الأشياء ذات المظهر

الصناعي كالبيوت والمنازل الأخرى في أكتافه أو أعاليه. وحتى في اناسه فالذين رأيناهم في الاستراحة الأولى على (فراسا) أو الجبل والذين نراهم الآن هم علي نظافة في الثياب والأبدان مع نضارة الوجوه واشراقها قيمن ينظر إلى النضارة والاشراق في وجوههن.

ووقفنا في قمة الجبل العالية التي ترتفع عن مدينة (سراييفو) حوالي ألف وستمائة متر ومع ذلك تطل عليها مباشرة.

وما شبهت الهواء المعتدل في قمة هذا الجبل الذي نقف الآن فوقه وهو جبل (ترابافيتش) إلا بالهواء الذي يأتينا في أوائل الخريف أو آخر الربيع في منطقة القصيم.

الأقلام التي تكتب على السماء:

أجمل ما في هذا الموقف منظر الجزء القديم من مدينة (سراييفو) عليه بمآذنه القديمة التي هي كلها لمساجد أثرية قديمة ماعدا أربعة مساجد أو نحوها فهي جديدة بنيت في مناطق حديثة العمارة من المدينة.

وعندما أعجبت بمنظر هذه المآذن إعجاباً لم يقلل منه كوننا ننظر إليها الآن عن بعد، قال الشيخ عبدالرحمن هوكيتش: إن أجمل وصف خلع على منظر هذه المآذن قاله كاتب – أو قال شاعر – مسيحي من أهل البلاد حيث قال:

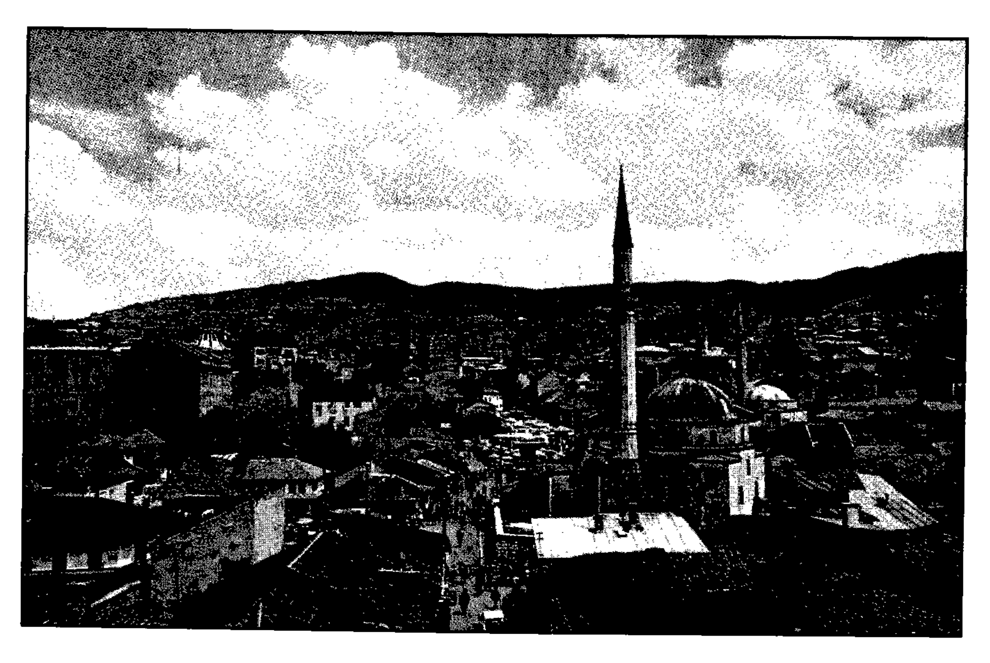
إن منابر سراييفو هذه هي أقلام تكتب اسم الله على السماء.

إن هذه العبارة عبارة شعرية جميلة قالها قائلها وهو يتمثل هذا المنظر بحاضره هذا الرائع من هذا المكان المرتفع، أما الرجل المسلم فإنه ينظر إليه في حاضره، ولكنه لايقتصر على ذلك وإنما ينظر بعين خياله إلى ماضيه، وأن هذه المدينة قد شهدت ماضياً إسلامياً مجيداً عندما كان السلطان الأعلى فيها وفي سائر البلاد اليوغسلافية للمسلمين فيحاول أن ينظر من خلال حجب الغيب إلى المستقبل يتساءل عما إذا كان التاريخ – بالفعل – يعيد نفسه كما قال بعض الكاتبين.

ولكنه يعرف كما يعرف أكثر الناس غيره أن التاريخ ليس إلاّ من صنع رجال عظماء بإيمانهم بالفكرة التي يريدون إملاءها على التاريخ وبقاءها على مر الأجيال فهل يعود المسلمون كذلك؟ وهل يؤمنون إيمانًا راسخًا لايتزعزع بأن مجدهم وعزهم إنما هو بالإسلام دون سواه. فيؤمنون حقيقة، ويعملون بذلك حقيقة؟.

إن الإيمان المجرد عن العمل لايكفي، فقد قرن الله سبحانه وتعالى الإيمان الصحيح الذي يفلح أهله في الدنيا والآخرة بالعمل الصالح فقال في آيات عديدة: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ وقال في سورة كاملة هي العصر: ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾.

وهناك منطقة قرب المدينة تسمى منطقة الغابات السبع أهم ما فيها مقبرة خاصة بالمسلمين ترى من هنا كما ترى المساجد.



جانب من سرايفو

وعلى ذكر المساجد ومآذنها الشامخة لابأس لي أن أعيد هنا ماقدمته من أن عدد المساجد في مدينة سرايفو هو (٧٣) مسجدًا وأن أزيد هنا بأن عدد الجوامع التي تصلى

فيهـا صلاة الجمعة فيها بلغ سبعة وعشرين مسجداً ، وأن عدد المساجد في يوغسلافيا كلها يبلغ ثلاثة آلاف ومائة مسجد وأن الزيادة في المساجد تعتبر زيادة مطردة إذْ تبنى مساجد جديدة الآن .

لبثنا فترة في هذا المكان الجميل يلفنا الهواء الجبلي الخفيف مع أنه هواء عليل ، ونستجلي منظر الجبل برداءه الكثيف من الأشجار الخضر التي ظهر لنا منها أشجار الصنوبر .

والتقطنا صوراً لهذه المناظر الجميلة .

عودة إلى المدينة :

عدنا إلى مدينة سراييفو في سير وئيد قصدنا منه أن نلقي نظرة على أماكن أخرى من المدينة لم نرها من قبل ، وأن نخرج بعد ذلك لرؤية جبل آخر قريب من المدينة ويطل على النهر .

فكان مما تكررت رؤيته فيها كثرة الحدائق الغناء ، والأشجار الباسقة ، والنظافة الظاهرة في ملابس الناس رغم مظاهر عدم الغنى ، والأناقة الأكثر ظهوراً في القوام إلى جانب البروز الغريب في الصدور مما لايكاد يوجد في البلدان الأوروبية الغربية التي نعرفها إلى جانب الاعتدال في الأوزان .

وتكون النتيجة لاجتماع ذلك هي الجمال الأخاذ لاسيما إذا أضيف إليه صفاء الألوان .

ولاشك في أن مرجع ذلك إلى كون القوم من جنس أوروبي مختلف عن الأجناس الأوروبية الأخرى وهو الجنس (السلافي) الذي كان أسلافنا العرب يسمونه الجنس الصقلبي وجمعه: صقالبة .

كما تأكدت الصورة التي رأيناها للمدينة لأول مرة ، وهي أن شوارعها معتدلة

السعة في ضواحيها، وضيقة في قسمها القديم ولكن ذلك لايضايق الماشي فيها لأن الأرصفة جيدة وموجودة في كل الشوارع حتى الضيقة منها.

وهناك شوارع رئيسية واسعة، وإن كان عددها قليلاً فإنها بمثابة الشوارع الرئيسية التي تمر منها حركة المرور.

والجمال الطبيعي الذي منحها اللّه إياه في الموقع أضاف إليه أهلها قليلاً من العناية فصارت على ما هي عليه من جمال ورونق.

ولو كانوا في بلاد حرة الاقتصاد، مزدهرة الأعمال لكان لهذه المدينة شأن في إبراز المظهر الإسلامي أكثر مماهي عليه الآن، وربما كان لها شأن في اجتذاب السياح الذين ينفقون أكثر ما هم عليه في الوقت الحاضر.

وبعد تلبث في تأمل المدينة شعرنا أن موعد الطائرة قد قرب إذا المقرر أن تغادر طائرتنا (سرايفو) إلى مدينة (زغرب) في الثامنة وعشر دقائق ونحن الآن قد بلغت ساعتنا الثامنة إلاّ الربع ولم تغرب الشمس بعد، بل قد بقي في عمر النهاربقية صالحة.

فأسرعنا بالاتجاه إلى المطار والقوم يأمروننا بالتمهل ولكننا نخشى إن تأخرنا أن يتأثر برنامج رحلتنا كله إذ المقرر أن ننام الليلة في (زغرب) ونقضي فيها يوم غد حتى العصر ثم نعود بعد العصر إلى بلغراد لنغادرها في صباح اليوم التالي إلى بوخارست عاصمة رومانيا.

ولكننا عندما وصلنا إلى المطار ذكر الموظفون فيه أنه لم يردهم أي خبر عن الطائرة من بلغراد لأنها تقوم إليهم من هناك ولذلك لايستطيعون أن يتسلموا الأمتعة إلا بعد أن يتيقنوا من أن الطائرة ستتوجه فعلاً إلى سرايفو.

ثم أعلنوا أنهم سيذيعون معلومات عن الرحلة بعد ساعة من الآن وقد غربت الشمس ووجبت صلاة المغرب، فسعى إخواننا لدى المسئولين في المطار أن يدخلونا غرفة كبار

الزوار فيه المسماة بصالون الشرف لأن فيها حماماً خاصاً يمكننا أن نتوضأ فيه كما أن فيها تبريداً بخلاف قاعات المطار التي ركد فيها الهواء وليس فيها من وسائل التبريد من مراوح أو مكيفات أي شيء.

صلينا في غرفة كبار الزوار جمعًا ولم يكن معنا فيها أحد.

وبعد الصلاة، جاء الفرج على هيئة خبر عن قيام الطائرة من بلغراد فوزنوا الأمتعة وتجاوزنا تفتيشاً دقيقاً للأمن أكثر مما هو في بلغراد وهو هنا كهربائي دقيق.

ودخلنا إلى قاعة صغيرة للمغادرة بجانب البوابة المعينة في المطار في حدود الساعة العاشرة ولم نكد ندخل حتى جاء موظف وهو يشير إلى إخواننا من العلماء اليوغسلافيين الذين كانوا معنا وهم يطلبون منا أن نخرج إليهم في قاعة الترحيل ومعهم شخص غريب تبين أنه شيخ منطقة البوسنة ذكر أنه كان غائباً عن المدينة وأنه علم الآن بحضورنا فأسرع يريد السلام والاحتفاء وتساهل أهل المطار في خروجنا ورجوعنا ودخول بعض المودعين معنا.

إلى زغرب :

وفي العاشرة وعشر دقائق كانت الطائرة تغادر مطار (سراييفو) قاصدة مدينة زغرب متأخرة عن موعدها المقرر ساعتين اثنتين . ولكن ذلك أقصر من تأخرها في بلغراد وأهون وقعًا على نفوسنا لأننا الآن قد أنهينا ما أردناه من زيارة مدينة سراييفو والاجتماع بالإخوة من أعضاء المشيخة وعلماء البلاد ولله الحمد .

وقد امتلأت الطائرة بالركاب وبينهم طائفة لابأس بها في العدد من العرب ، كما كانت عليه الحال عند قدومنا من بلغراد .

فكانت اللغة العربية تجلجل في الطائرة تثبت وجود العرب وتدل عليهم من لم تكفهم المظاهر العربية للدلالة على ذلك .

إلا أن كثيراً من هؤلاء جاؤا للسياحة أو تزجية الوقت في تلهية أو تمضية لفصل الصيف الحار في بلادهم ، على اختلاف في نوع هذه التسلية والتزجية للوقت فالشبان أو لنقل الذين ليست أسرهم معهم يذهبون إلى أماكن معينة والذين معهم أسرهم يجدون أماكن تستحق الزيارة ولايرى المرء فيها ما يخدش حياءه ، أو لايحب أن يراه أهله وعياله ، وقد أخبروني أن من أهم الأماكن في سراييفو ينابيع للمياه المعدنية المفيدة جدًا التي تحمل منها إلى كافة أنحاء يوغسلافيا وقد شربناها في المطاعم والمقاهي في العاصمة بلغراد ، إلا أنها تكون وهي توضع في الزجاجات قد صنعت وأضيفت إليها مواد تمنعها من التغير والفساد وهي بذلك قد تفقد شيئًا من خصائصها وأما هنا فهي من النبع الذي قالوا إنه لايزيد على مسافة ١٨ كيلو متراً من سراييفو وإن المرء يشربها ، طبيعية طازجة لم يشبها شيء ، ولم يشنها تغيير .

وهناك بجانبها مياه معدنية حارة يستشفي الناس بها في مصحات خاصة أعدت لهذا الغرض يقصدها من يكون لديهم أمراض من أمراض المفاصل ، أو تصلب الأعصاب أو الأمراض الجلدية وذلك كله كما أخبرونا مقابل نفقات قليلة ، وأجرة للانزال والمصحات قالوا وهم يبالغون في رخصها: إنها ضئيلة .

ويكفي المرء منا أن يشعر وهو ينفق ما ينفق من ماله أنه ينفقه على بلاد أكثر أهلها من اخوته المسلمين ليشعر بأنه ينفقه كما ينفق على عياله فيخرجه راضيًا بل مستمتعًا.

ولنوالي حديث العرب الكثير في يوغسلافيا وهو الحديث الذي جره الكلام على وجود العرب في هذه الطائرة فنقول: إن هناك أعدادًا كبيرة من الطلبة من البلدان العربية يتلقون العلم في هذه البلاد اليوغسلافية يبلغ عددهم الآلاف، وذلك رغم صعوبة لغتها القومية إن لم نقل لغاتها وكون لغتها لغة محلية لاتسافر مع المرء إذا سافر من يوغسلافيا فإن الذي يحملهم على قصدها وتلقي العلم فيها هو الرخص البالغ في إيجار المساكن، والتساهل الظاهر في مستوى العلامات التي قد يحصل عليها الطالب المتخرج في المرحلة الثانوية، والحرية في أن يفعل المرء مايريد أن يفعله ممالايستطيع أن يفعله في بلاده حتى بالنسبة إلى التدين الذي هو آخر ما يتطلبه المرء في البلدان الشيوعية، يمكن للطالب أن يتظاهر به أكثر ممايستطيع أن يتظاهر به في بلاده الأصلية التي إذا أظهر تدينه فيها نظر إليه بعض الحكام وأعوانهم نظرات الشك والارتياب ثم لفقوا تهمًا أكثرها ظهورًا أنه من (الإخوان المسلمين) وكأنما الأخوة الإسلامية جريمة من الجرائم وخطيئة من كبائر الخطايا.

ولاشك في أن مرجع ذلك إلى خوف الحكام الفاسدين المستبدين من دعوة إسلامية تحيا في بلادهم، أوتزدهر بين شعوبهم فتقلعهم وتقتلع معهم طوائفهم أو أحزابهم التي تساعدهم على البقاء على الظلم والفساد.

وإذا تذكرنا أن هذا الموسم هو موسم الإجازات في هذه البلدان الأوروبية الشرقية لأنه موسم الدفء والذهاب إلى المتنزهات عرفنا كثرة إقبال القوم على ركوب الطائرات والقطارات بل والسيارات لمن يستطيعون أن يركبوا السيارات الخاصة.

وقد أعلن مكبر الطائرة أن الطيران إلى مدينة (زغرب) سيستغرق خمسًا وثلاثين دقيقة، لذلك اقتصرت الضيافة في الطائرة على كأس من العصير أو من الماء، وكان مقعدي على النافذة قد اخترته كما كنت أفعل في أكثر الرحلات للبلدان الأجنبية حتى

يمكنني ذلك من أن ألقي نظرة أو نظرات على الأرض تحت الطائرة غير أن الليل البهيم كان هو المنظر الوحيد الذي لم يكن يتغير في أكثر الطيران.

وكنت أعتقد وأنا أعرف أن المنطقة كلها ريفية معمورة أن تكون أنوار الريف ظاهرة إن لم تكن ساطعة غير أنه تبين أنها قليلة وأنها خافتة جداً.

في مطار زغرب:

بدت أضواء المدينة من المطار أقل سطوعًا وشمولاً مما كنت أتوقعه لمدينة صناعية رئيسية في يوغسلافيا وهي عاصة إقليمية إذْ هي عاصمة جمهورية (كرواتيا) المحلية، ولكن يظهر أن اليوغسلافيين هم يعانون من عجز في اقتصادهم عن أن يساير طموحهم، بل إنهم يشكون من تأخر في هذا الاقتصاد قد أرادوا – قصداً – الاقتصاد في الكهرباء مع أنهم يتلقون الكهرباء من مساقط المياه في الأنهار.

هبطت الطائرة في الحادية عشرة إلا ثلثًا، ولم تكن هناك إجراءات معينة لأن الرحلة داخلية.

وجدنا في الاستقبال في المطار طائفة من الإخوة هنا على رأسهم الأخ (شوقي بوقوميل) ومنهم الأخ سالم محمد أحد العاملين النشطين في الحقل الإسلامي وهو أيضًا نشط في أعماله الاقتصادية إذْ أنشأ مصنعًا خاصًا به يعمل لديه في هذا المصنع أربعة عمال وهو الحد الأعلى لعدد العمال الذين يسمح القانون الشيوعي في هذه البلاد باستخدامه لشخص واحد، وذلك حسب زعمهم لئلا يتسلط بعض الناس على بعض ونسوا أو تناسوا أن الحزب الشيوعي نفسه وهو الذي يمثل أقلية بين عامة الشعب باعتراف أهله والمسئولين عنه، هو متسلط على الناس كلهم ثم إنهم تناسوا أن الذي يوفر بإدارته وحزمه العمل المثمر لعدد من العمال هو رجل قد أحسن عملاً لبلاده وينبغي أن يجازى صالحًا على عمله ذلك لا أن يذم ويشهر به.

انطلقنا بسرعة من المطار على سيارة الأخ (سالم محمد) هذا إلى فندق كانوا قد

حجزوا لنا غرفًا فيه، وفيه ينزل زملاؤنا الذين سبقونا إلى زغرب لأنهم لن يزوروا (سراييفو).

ويدعى فندق (بالاس) ويقع في قلب المدينة القديم وهم يعدونه من فنادق الدرجة الأولى ذات الأنجم الخمس، ولكن الحقيقة أنه لايصل إلى ذلك بل لايتعدى إلى أكثر من فنادق الدرجة الثانية ذات الأنجم الثلاث، وأجرته (٥٦) دولارًا أمريكية.

فأسرعنا بالإخلاد إلى الراحة بعد يوم بدأنا الحركة فيه من الخامسة فجراً.

يوم السبت: ١٤٠٥/١١/٥هـ، ١٩٨٥/٧/٢٢م.

في قلب مدينة زغرب:

يقع فندقنا كما قلت في قلب مدينة زغرب القديمة وقد احتجت أن أشتري شريطًا ملونًا للمصورة (فيلم) فسألت عنه عاملة في الفندق لأن مثل هذه الأشياء توجد في حانوت أو متجر في الفنادق الكبيرة مثل هذا في العادة، فقالت: إنه لايوجد منه شيء هنا، وإنما يوجد مكان هناك أشارت إلى الشارع الذي يقع عليه الفندق يمكنك أن تتمشى وتشتري ذلك منه.

وكان الوقت مبكرًا وأردت أن أسير على قدمي في هذا الصباح الربيعي بالنسبة إليَّ وإن كان صيفيًا حارًا بالنسبة إليهم.

فرأيت من عظمة هذه المدينة المتمثلة في الأبنية الفاخرة والشوارع الواسعة المشجرة ذات الأشجار الباسقة، والحدائق الواسعة ما أعجبني.

ولكنني عندما تذكرت أنها كانت عاصمة لدولة كانت مستقلة وأنها غنية بمواردها الزراعية وأن في المنطقة التي تتبعها الآن بعض المعادن كالنفط وإن كان بكميات قليلة وأنها مدينة صناعية منذ عهد غير قريب زال بعض عجبي مما رأيته فيها.

وعندما تأملت ذلك ووجدته كله قديمًا سابقًا لعهد الثورة الشيوعية زال مابقي في ذهني من العجب.

إن بعض الأبنية فيها لاتقل عن الأبنية الموجودة في قلب العاصمة الفرنسية باريس وهي أفخر من كثير من الأحياء القديمة في مدينة لندن بكثير.

وعجبت أيضاً من كثرة المقاهي - جمع مقهاة - والمقاصف والمشارب فيها وقد امتلأ بعضها بالرواد الذين إذا تأملهم المرء رأى فيهم نسبة كبيرة من السياح الذين جاءوا من خارج البلاد.

ولكن متاجرها الواسعة الفخمة المظهر إذا أمعن المرء النظر فيها وجد أن البضائع فيها ليست على مستوى فخامتها ولا على قدر سعتها، بل إن بعض المتاجر لايرى السلع التي فيها قد شغلت إلاّ حيزاً صغيراً منها وليس ذلك لكونها مكاتب بل هي متاجر حقيقية تعرض فيها البضائع وتباع.

وربما يكفي المرء ليعرف العلة في ذلك أن يتصور أنها كلها بدون استثناء متاجر حكومية تملك الدولة كل مافيها، وكل من فيها - إن صح التعبير - فالعمال والمستخدمون فيها هم من موظفي الدولة الذين يتقاضون رواتب على عملهم، ولايهمهم من أمر المتجر أن يخسر أو يربح كما يهم من يكون المتجر ملكاً خاصاً لهم، لأن الربح فيه للحكومة والخسارة عليها.

وعمر المدينة يرقى إلى تسعمائة سنة.

ومعظم سكانها من الكاثوليكيين، وفيها أقلية أرثوذكسية، وهي أكثر عداء للمسلمين من الكاثوليك.

أما اليهود فليس فيها إلا أربعون يهودياً من سكانها القدماء.

وسرت وقد صرت أحملق في هذه المتاجر أبحث عن شريط للمصورة اشتريته فلا أجده فأسأل بعض العاملين في المتاجر وفيهم نسبة كبيرة من النساء فلا أسمع إلا القول بأنه غير موجود، وذلك بطريقة جامدة خالية من المجاملة التي قد تفرض أن يكون

الاعتذار مقرونًا بالأسف مع أن ذلك هو الذي ينبغي أن يكون هنا لأنه يفترض أن الدولة التي تقول: إنها تمثل جميع الشعب هي المسئولة عن توفير السلع والبضائع للناس جميعًا بخلاف المحلات التجارية في البلدان الحرة التي لايكون التاجر فيها مسئولاً إلاَّ عن نفسه وعن تجارته الخاصة.

وقد وقفت لأعرف ما إذا كانت هذه المعاملة التي تتسم باللامبالاة والتي هي لاتتم عن احترام ولا عن احتقار خاصة بي أم هي عامة للناس جميعًا، فرأيت ما تحققت منه أنها عامة للناس فقلت في نفسي ما قال المثل: العدل في الظلم عدل، أو المثل الآخر الأكثر منه صدقًا : ظلم بالسوية، عدل بالرعية.

ووجدت الشريط المطلوب بعد لأي عند عاملة في متجر كبير قليل البضاعة واشتريته بأكثر من ضعف قيمته في بلادنا بقليل.

ثم عدت أدراجي إلى الفندق مع طريق آخر غير الذي سلكته في الخروج فأعجبني سموق أشجار الأرصفة وضخامة سوقها مما جعلني أقدر أعمارها وأنا غير خبير بأعمار الأشجار، بما لايقل عن مائة عام ويمكن أن يقال ذلك عن أعمار كثير من الأبنية القديمة الهامة فيها، وعن أعمار الحدائق الواسعة بل الشاملة الواقعة في القسم القديم من المدينة.

إلى المركز الإسلامي :

أقيم في مدينة زغرب مركز إسلامي كبير بل عظيم ربما صح القول بأنه أكبر مركز إسلامي حديث قام على إنشائه قوم ليسوا من الحكومات ولا من الهيئات الكبيرة.

وقد كنت متابعًا لمراحل إنشائه عن طريق الأوراق والمراسلات واللجان التي أشارك فيها وتبحث في دعمه وإكماله ولم تتيسر لي زيارته.

لذلك فرحت عندما أتيحت لي زيارته في هذه المرة.

غادرنا فندقنا على سيارة الأخ (سالم بن محمد) كما يحب أن يلفظ باسمه تمسكًا منه باللفظ العربي فهو لايحب أن يقال (سالم محمد) ومعنا الشيخ شوقي بوقوميل وهو من أقوام يسكنون المنطقة الوسطى من يوغسلافيا كانوا قد أبوا النصرانية وأسلموا على أيدي الأتراك، فحسن إسلامهم ويقيم أكثرهم الآن في بلاد البوسنة.

وتبعتنا سيارة أخرى فيها بعض الرفاق والإخوة اليوغسلافيين.

مر بنا الطريق في قلب المدينة الفاخر في القديم الذي ذكرنا أنه لايقل منظرًا عن القلب القديم للمدن الأوروبية العريقة لولا الإهمال الذي ران عليها، عندما انصرف عنها رجال الأعمال، وصارت تدار من قبل أنصار الشيوعية التي تهدم البناء، ولاتقيم المهدوم إلا على ما تريد سواء أكان ذلك يزيد في مصلحة البلاد أو لا يزيد.

وينبغي أن نذكر أن زغرب هذه كانت عاصمة دولة (كرواتيا)، التي كانت دولة مستقلة وهي غنية الأرض بالزراعة، وحتى بالمعادن ففيها شيء من النفط وهي في الوقت الحاضر جمهورية اتحادية أشبه ماتكون بالولاية من ولايات يوغسلافيا، إلا أن فيها حركة صناعية نشطة.

فمررنا بالمتحف الثوري وكان قبل ذلك مسجدًا أقامته السلطات المسؤلة في المدينة في وقت من الأوقات استجلابًا لعاطفة المسلمين الذين كانت الحكومة تريد تجنيدهم وهم لايريدون ذلك.

وقد كان ذا منابر أربع فنزعوا ثلاثًا منها وجعلوه مقرًا لجمعية الفنون.

المسلمون في زغرب:

لمناسبة الحديث عن المسجد في مدينة زغرب هذه يجدر بنا أن نذكر أن عدد المسلمين في زغرب يبلغ ستين ألف شخص من مجموع سكان المدينة البالغ مليون نسمة

ويعادل ربع سكان جمهورية كرواتيا الاتحادية التي يعد سكانها أربعة ملايين نسمة، وعاصمتها (زغرب) وقد سبق الكلام مفصلاً في أحوال البلاد اليوغسلافية بعامة وأحوال المسلمين خاصة في أول الكتاب.

ثم مررنا بالمتحف التقني (التكنولوجي) وهو فخم البناء واسع معتنى به.

وبعده رأينا (دار الموسيقى) وهي أيضًا واسعة جيدة المظهر.

زغرب الجديدة:

ثم مررنا بمقر شركة النفط اليوغسلافية (إينا) واجتزنا جسرا فوق نهر ساوا فوقعنا في مدينة زغرب الجديدة، ويتألف من أبنية عالية متعددة الطوابق (عماير) أقامتها الشركات وبعضها للجمعيات التعاونية العمالية، وهي ذات مظهر جميل معتنى بها وبطلائها وترتيبها، بحيث تكون (العمارة) الضخمة بعدها فراغ غالبًا ما يتألف من أرض مزروعة منسقة أو من ملاعب للأطفال واستراحات للسكان تأتي بعدها على نسقها تمامًا (عمارة) أخرى أي تكون العمارتان متناسقتين في الصف وإن اختلفت إحداهما عن الأخرى كبرًا وصغرًا فإنه يجب أن تكون كلتاها داخل إطار من الذوق السليم في التنظيم والترتيب.

وذكر لنا الأخوة المرافقون أن هذه الأبنية الضخمة بنتها الشركات الحكومية أو التعاونية لعمالها تؤجرها عليهم بأجور معتدلة أو تبيعها عليهم بالتقسيط.

وهذه هي العادة المتبعة في البلدان الشيوعية إذْ لا مجال لأن يكون قلب المدينة أو ضواحيها القريبة من قلبها مكانًا لبناء منازل خاصة أو حتى لعمارات صغيرة، وذلك لأن سياسة الدولة أن تكون المنازل على هيئة شقق صغيرة محدودة المساحة من أجل سهولة الحصول عليها لسائر الناس الذين هم من ذوي الدخول القليلة المحدودة في كل البلدان الشيوعية.

كما أنه لا مجال لوجود أناس عندهم مبالغ كبيرة من المال يشترون به أراضي للبناء لاتبيعها إلا الحكومة وفق سياستها الإسكانية التي تراها، ثم هي تحتاج إلى مبالغ كثيرة من المال لايستطيع الرجل بمفرده أن يحصل عليها.

وهذا في يوغسلافيا هذه التي هي من أقل البلدان الشيوعية تقييداً للفرد وتحديداً لملكيته فهي تبيح لرعاياها أن يسافروا إلى الخارج للعمل وتمنحهم جوازات السفر من دون قيود مما لايحدث له نظير في البلدان الشيوعية في المنطقة، وبخاصة في الاتحاد السوفيتي، والمانيا الشرقية، التي بنت حائط برلين لئلا يهرب رعاياها هرباً إلى برلين الغربية الحرة، لأنهم لايستطيعون الحصول من حكومتهم الشيوعية على جوازات السفر.

وفي يوغسلافيا تبيح الحكومة للفرد أن يكون له مصنع أو معمل خاص به شرط ألا يعمل عنده بالأجر أكثر من أربعة أشخاص، وأن يدفع الضرائب المقررة للدولة علي ذلك.

وعلى سبيل المثال، فإن مرافقنا الآن وهو الأخ (سالم بن محمد) لديه معمل للخياطة والتفصيل وعنده أربعة من العمال الأجراء، وهم يفضلون أن يعملوا عنده على أن يعملوا عند الدولة التي تزعم أنها دولة العمال والفلاحين وتنادي بذلك.

المنارة الشامخة:

رأينا على البعد منارة مسجد المركز الشامخة بل السامقة بجانبها القبة العجيبة فالمنارة ترتفع خمسين متراً والقبة بجانبها يبلغ ارتفاعها عشرين متراً.

ثم عدنا لعبور نهر (ساوا) فوق جسر حديث بني قبل إحدى عشرة سنة وبجانبه جسر حديدي قديم لايعبر عليه الآن لقدمه، وعدم تحمله.

وأقبلنا على المسجد الذي كان واضحًا بشكل غريب لأن إخوتنا اشتروا أرضه من الحكومة بمائة وثمانين ألف دولار أمريكي والمقصود بما كان يعادل ذلك من العملة اليوغسلافية عند الشراء.



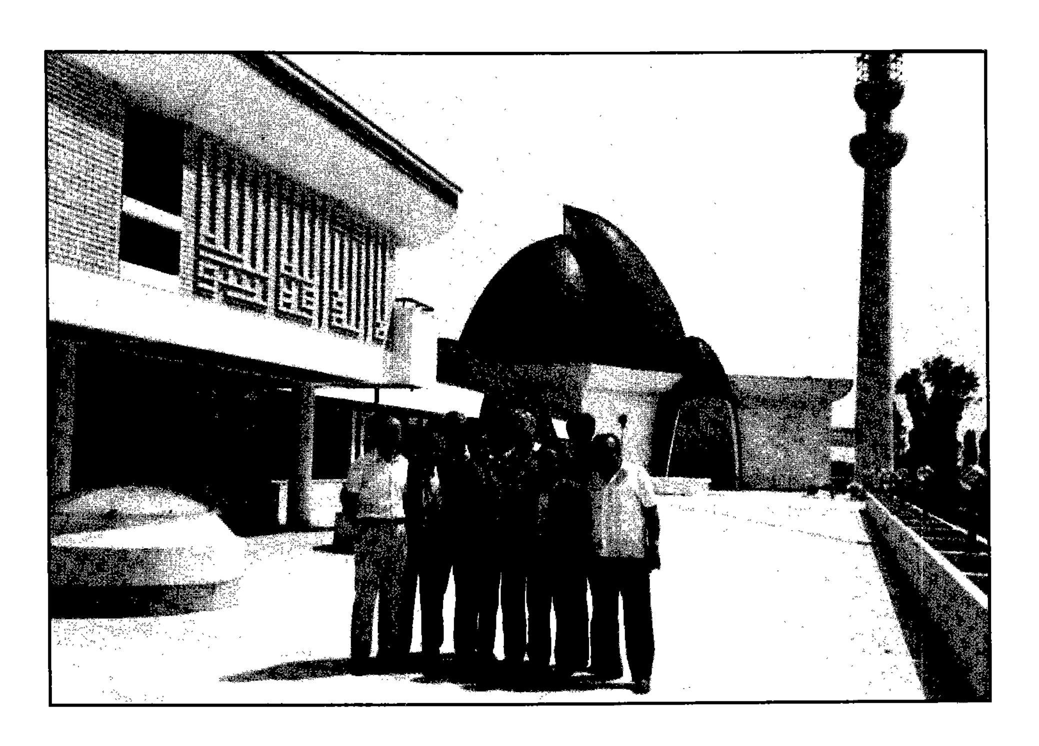
أخوان بينهما المؤلف وهم واقفون على بعد من جامع زغرب

واختاروه في أرض منبسطة بعيدة عن مضايقات العمارة الحكومية التي ترفع الأبنية، وتؤثر على منظر المنارة والقبة.

وأغرب ما في المسجد منظرًا عند الإقبال عليه هو قبته التي وضعوها على هيئة الدرع العربي أي الدرع الذي كان يلبسه المحارب العربي المسلم. وقد صممها أحد الأخوة المهندسين المسلمين وهو الأخ المهندس (جمال تشيلك) عميد كلية الهندسة المعمارية في جامعة سراييفو وهي من أغرب القباب التي رأيتها على مسجد من المساجد المعتنى ببنائها في العالم، بل ربما تكون أغربها، وقد أراد الأخوة المسلمون هنا أن تكون كذلك لا حبًا في الإغراب، وإنما محبة في أن يكون لهم ما يتميزون به من أجل أن يضيفوا إلى

الأعمال الإسلامية في البناء والعمارة جديداً قد يكون مثالاً يحتذى به ، وذلك كله رغم كونهم من أهل الدخول المحدودة ولايوجد بينهم ثري واحد بمقاييس الثراء الذي نعرفه في البلدان ذات الحرية الاقتصادية غير أن الذي نقصهم في المال ، قد عوضوا عنه بالمزيد من الأعمال ، فأرسلوا الوفود الموثوق بها إلى البلدان العربية ، واتصلوا بالجمعيات والمؤسسات العاملة في الحقل الإسلامي .

وحتى أهل الخير من أثرياء البلدان الإسلامية كالمملكة العربية السعودية اتصلوا بهم وتوسلوا إليهم بأهل الخير الموثوق بهم . وواصلوا السعي لدى سفراء الدول الإسلامية يبغون منهم العمل على تعضيد هذا المشروع الإسلامي العظيم ، فكانوا أحياناً يجدون من العناية والاستجابة مايريدون وكانوا في أكثر الأحيان لايسمعون حتى الصدى لما يقولون .



صورة التقطها المؤلف لبعض أعضاء وفد الرابطة مع المسئولين عن جامع زغرب في سطح الجامع

ولكنهم لم يتخاذلوا، بل لم يتهاونوا وتعاونوا على البر والتقوى، وشمروا عن سواعد الجد والاجتهاد، فوجدوا من إخوانهم في البلدان العربية من تأثروا من إخلاصهم فصاروا مثلهم سفراء عند بني قومهم حتى جمعوا لهذا المشروع العظيم ما بنوه به صرحًا شامخًا شاهدًا على قوة الإسلام في هذه البقاع القصية عن حواضر الإسلام، وبين قوم هم أقلية عددية قليلة حيث لاتزيد نسبتهم في مدينة زغرب هذه على ٦٪.

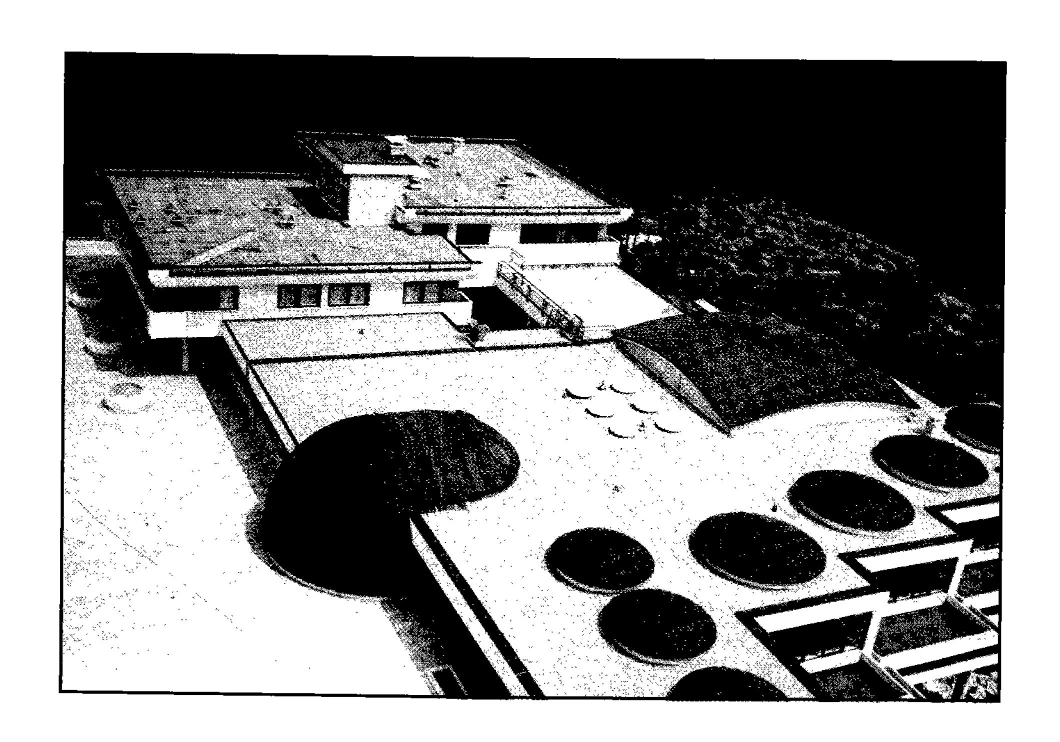
على طريق مأثور:

ورأى إخوتنا جزاهم اللّه خيراً أن يبنوا هذا المسجد الجامع وما يتبعه مما أسموه حقًا بالمركز الإسلامي إلى جانب طريق مأثور، بل طريق دولي مشهور هو الذي يصل البلاد الأوروبية بالبلدان العربية والشرقية فضلاً عن البلدان القريبة كالتركية.

فكانت منارته تنادي أهل التوحيد الذي يمرون بعشرات الألوف بل بمئات الألوف مع هذا الطريق من كل عام أن هلموا إلى نداء الإسلام: اللّه أكبر، اللّه أكبر، هذه هي الشهادتان تناديكم أن حي على الصلاة حي على الفلاح.

وهي إلى ذلك تنادي من يبحث عن الهدى والرشاد من أهل البلاد أن تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا اللّه ولانشرك به شيئًا، وأن لانأتي أمرًا فريا نظلم العباد، أو نخرب البلاد باسم الشيوعية الأممية أو الاشتراكية فالعدل في الأقوال والأعمال هو المطلوب في جميع الأحوال.

وأخبرنا الإخوة المسلمون القائمون على المسجد أن هذا الطريق يأتي من بلاد السويد وفرنسا وأنه يمر به كل عام ما لايقل عن مليونين من المسلمين كلهم يستطيع أن يقف فيصلي في المسجد ويتناول الطعام في مطعم المسلمين الملحق بالمسجد، وحتى يستريح فيه مجرد الاستراحة.



جانب من سطح الجامع مع المنطقة الخضراء التي تحيط به (تصوير المؤلف)

ومن الأشياء التي قصدوا بها الجمال، والتأكيد بالأقوال التي يرجى أن تتبعها الأفعال أنهم أداروا على القبة رسمًا جميلاً بكتابة جميلة لمعنى أجمل وهي الشهادتان (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه) أداروها كالشاذروان حول القبة.

المشاعر الجياشة :

لم نستطع السيطرة على مشاعرنا إلا بصعوبة ونحن نسير مع الإخوة المسلمين في هذا المكان الطاهر العظيم في بلاد الكفر المغلظ (الشيوعية) وبخاصة عندما رأيناه قد بني بطريقة غاية في الإتقان لم يبال من قاموا عليه بغلاء الأثمان للمواد والأبنية التي بنوها بها فكأنما هم ذو سلطان في حكومة غنية بمعادن النفط أو الذهب الرنان.

فكل شيء فيه نظيف، وكل مادة من مواد البناء على أفضل ما نعرفه في أمثالها فقد

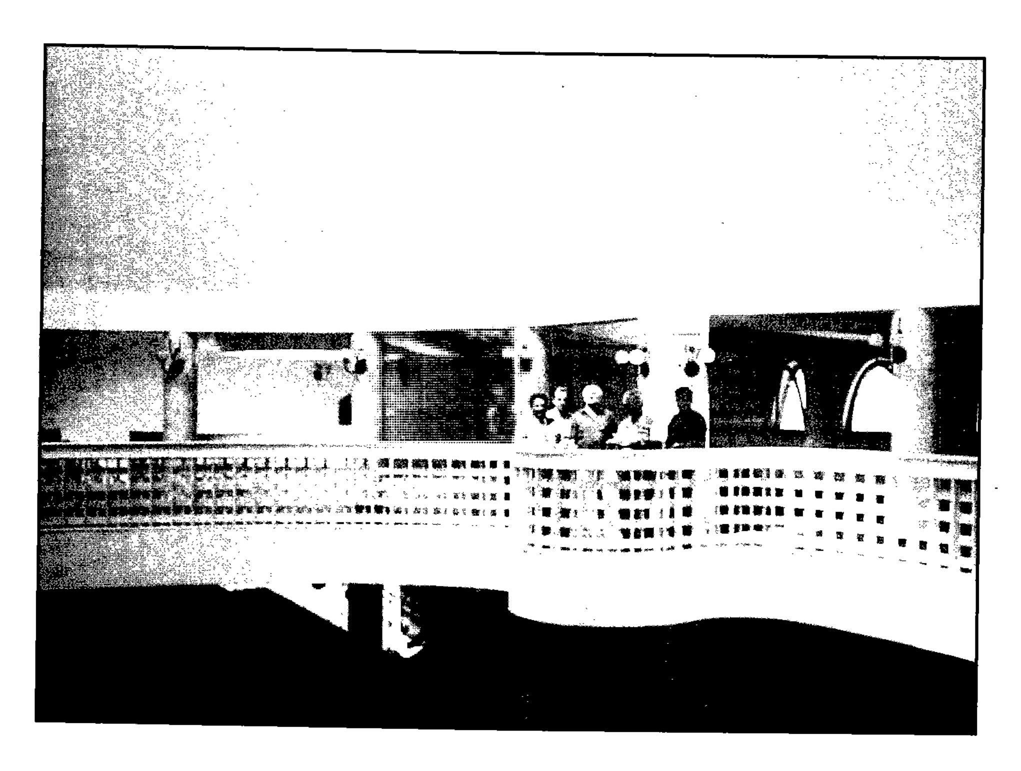
بنوا ملحقات المسجد إن لم نقل أقسام المركز كما بنوا المسجد بسخاء ومضاء حتى المدرسة رأينا فصولها فاخرة وغرفها متسعة، ولم يبخلوا عليها بالتزيين فجعلوا سقوفها المستعارة من الجبس المنقوش الجميل، وجملوا ما تحت الأسقف بكتابة سورة من القرآن الكريم ﴿**إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر**﴾.

ثم اطلعنا على قاعة المحاضرات وهي إحدى الملحقات بالمسجد وهي واسعة المساحة، فاخرة المبنى مثل غيرها، وغير بعيد منها المكتبة الإسلامية العامة، وهيأوا بجانبها غرفة كبيرة للمطالعة ولكن ذلك كله بناء لم يتم تجهيزه بالكتب بعد، لأن بناء المركز كله لم يكتمل بعد.

وألطف ما عملوه هنا أن أعدوا قاعة الجلوس واسعة أسموها الغرفة العربية نقشوا سقفها وحيطانها بنقوش عربية جميلة، وجعلوا الجلوس فيها على حشايا دون كراس كما كانت هي العادة العربية القديمة.

غرف الضيوف:

من أكثر ما يلفت النظر في أمر هؤلاء الإخوة الذين ظلوا سنوات طوالاً يجمعون المال العظيم لهذا المشروع الجليل أنهم أعدوا سبع غرف مجهزة بالمرافق اللازمة لها أسموها غرف الضيوف أعدوها للضيوف من المسلمين الذين يزورون هذه البلاد إلا أنهم لم يضعوا لها نظام الضيافة الذي يسير عليه بعض الاخوة من المسلمين في الهند وفي خارج الهند الذين رأيتهم يبنون في مساجدهم غرفة أو غرفًا للضيوف من المسلمين يحددون الاستضافة فيها بيوم أو ثلاثة أيام تكون فيها إقامة الضيف المسلم على نفقة أهل المسجد أي من صندوق المسجد مع الطعام في تلك الأيام، ثم يخير بعد ذلك بين أن يبقى إذا أراد الزيادة على مدة الضيافة المقررة ويدفع رسمًا معينًا يتقاضاه صندوق المسجد، وبين أن يغادر ضيافة المسجد.



جانب من مباني المركز الإسلامي في زغرب

والإخوة هنا لم يخبرونا عن النظام الذي يسيرون عليه في المستقبل.

وبنوا في المركز ثلاث شقق سكنية لأئمة المسجد فقد تصوروا أنه لابد للمسجد من أئمة ثلاثة يتناوبون الإمامة فيه، ويعمل بعضهم إلى جانب ذلك في إرشاد الكبار وتعليم الصغار وحتى المشاركة في التدريس في المدرسة الإسلامية الملحقة بالمسجد.

وذكروا لنا أنهم بنوا للمؤذنين مساكن غير هذه الشقق الثلاث.

الوضوء في الزهرة:

وكان من أغرب ما رأيناه بعد شكل قبة المسجد التي هي على شكل درع المحارب العربي المسلم هو محلات الوضوء وقد جعلوها متعددة منفصلاً بعضها عن بعض من أجل التوسيع على من يستعملونها ويفتح بعضها أحيانًا ويغلق أحيانًا إذا كان عدد

الحاضرين للصلاة أو الدراسة ليس كبيراً.



أحد الأخوة أعضاء لجنة بناء المركز يطلع المؤلف على محلات الوضوء

ودرجة الغرابة في بعضها وهي إغراب في طلب الجمال أنهم بنوها على هيئة زهرة في وسطها نافورة، فصار من يتوضأ منها كأنما يتوضأ من زهرة مبتسمة، فيجمع له بين النظافة والجمال

ومحلات للوضوء أخرى جعلوها على هيئة دائرة متناسقة ابتدعوها لاتكاد تجد لها مثيلاً في غير هذا المكان.

المسجد العظيم :

وعظمته في مبناه ومعناه أما المعنى فقد ذكرنا شيئًا منه ونزيد ملخصه هنا وهو أن القائمين عليه ليسوا من ذوي الأموال، ولا في حاضرة من حواضر الإسلام، وأما

المبنى فيكفي أن نعرف أنه قد انفق عليه وعلى الأبنية الملحقة به حتى الآن ما يزيد على عشرة ملايين من الدولارات الأمريكية .

وصلنا إلى المسجد مع ممرات في المركز الإسلامي كلها فاخرة واسعة حتى دخلنا المسجد الذي أنفقوا على بنائه بسخاء المؤمن السخي ، فالمحراب عالٍ إلى درجة ملفتة للنظر وقد أحاطوه بقلائد من الكتابة العربية الجميلة لآيات قرآنية كريمة قلادة بعد قلادة أو لنقل صفا من صفوف الكتابة بعد صف وذلك كله في تناسب عجيب وبشكل فني ليس هو بالشكل العربي المألوف لنا ولا على هيئة المحاريب التركية الحديثة الشائعة فضلاً عن أن تكون له صلة بالمحاريب المغولية - نسبة إلى العصر المغولي في الهند الذي بني خلاله تاج محل الشهير .

وينسجم شكل المحراب مع شكل المسجد الذي بنوه علي هيئة بيضة وإن شئت التعبير الأدبي قلت : على هيئة قلب أسفله المحراب .

ولذلك صار المنبر على طوله مائل الدرج قليلاً إلى جهة المحراب حتى ينسجم مع المظهر العام للمسجد ولم يبنوا المسجد بناء مربعًا أو مستطيلاً كما هو السهل المألوف ، بل جعلوه هكذا مع ما يتطلبه ذلك من مهارة في الرسم الهندسي ثم من نفقة في تنفيذه من أجل أن يضيفوا جديداً إلى المظاهر الإسلامية الفاخرة في بلاد مادية تبهرها المظاهر وهي واقعة في القارة الأوروبية حيث الأذواق المرهفة المحبة للجمال المبهر .

وأمر آخر ذكروه لنا عندما سألتهم عن السر في اختيارهم لهذا الشكل الشبيه بالبيضاوي وهو الشبيه بالقلب فقالوا: إن ذلك من أجل المحافظة على دقة اتجاه المسجد بصفة عامة والمصلين كل بمفرده بصفة خاصة إلى القبلة لأنه إذا كان ذلك كان أدعى للتأكد من المصلي متجهًا بالضبط إلى القبلة .

وهذا المعنى وإن كان صحيحًا في حد ذاته فإن الصحيح أيضًا أن المطلوب من المصلي البعيد عن القبلة أن يتجه جهة القبلة ولايكلف أن يصلي إلى الكعبة بعينها لما في ذلك من المشقة وإنما يكفيه الاتجاه إلى جهة الكعبة كماقال الرسول ﷺ وهو بالمدينة :

(مابين المشـرق والمغرب قبلة) أي أنه يكفي للصـلاة إلى القبلة أن يتجـه المصلي المقيم في المدنية المنورة إلى جهة الجنوب التي هي الجهة التي تقع فيها الكعبة .



داخل أحد المباني في المركز الإسلامي في زغرب (من اليسار) الأستاذ إبراهيم الخزيم ، فالمؤلف مع أعضاء لجنة بناء المركز .

ويقاس على ذلك من كان في جهات بعيدة ، لكن هذا لاينافي أن الاتجاه إلى الكعبة عينها إذا كـانت معروفة للمـصلي هو أولى من الاكتفاء بالاتجـاه إلى جهتهـا من الجهات الأربع التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال أو ما كان بينها من الاتجاهات .

ويتسع المصلى الرئيسي في المسجد هذا لألفي مصلٍ في آن واحد .

وفيه شرفة خاصة للنساء .

حديث عن الجامع :

ثم كانت استراحة القلوب والأبدان في جلسة وسط هذا المسجد العظيم تذاكرنا أمور المسجد مع إخوتنا المسلمين الأعزاء الأقوياء في دينهم وثقافتهم وهم من القائمين عليه وكلهم مثقف يحمل الشهادات الدراسية العليا وفيهم المهندس والطبيب والأستاذ في الجامعة.

فكان مما قالوه : إن هذا المركز قد اكتمل بناؤه ولم يبق منه حتى الآن إلا حوالي نصف العشر ٥٪.

وذكروا أنهم رغم اجتهادهم وحاجتهم لكل قرش استطاعوا الحصول عليه قد أصيبوا بكوارث ونكبات كان أشدها وقعًا وإيلامًا احتراق قبة المسجد عندما كادت تكتمل وكانت محاطة بشبكة ضخمة قوية من الأخشاب اللازمة لصب الأسمنت كالمعتاد فاحترقت الأخشاب وأصيب ما حولها من البناء بالأضرار مما تطلب هدمه وإعادة بنائه وكلفهم ذلك ستمائة ألف دولار أمريكي وذلك لضخامة القبة، وكونها تؤلف جزءًا هامًا من المسجد إذْ مظهرها مع المنارة العالية يعطي المسجد المظهر الإسلامي المميز الذي يسعون إليه.

وكان من المجتمعين في المسجد والذين كانوا معنا في الجولة فيه الأخوة :

مصطفى بليشانتش، رئيس المجلس الإسلامي.

سالم محمد شابتش رئيس لجنة بناء المركز الإسلامي.

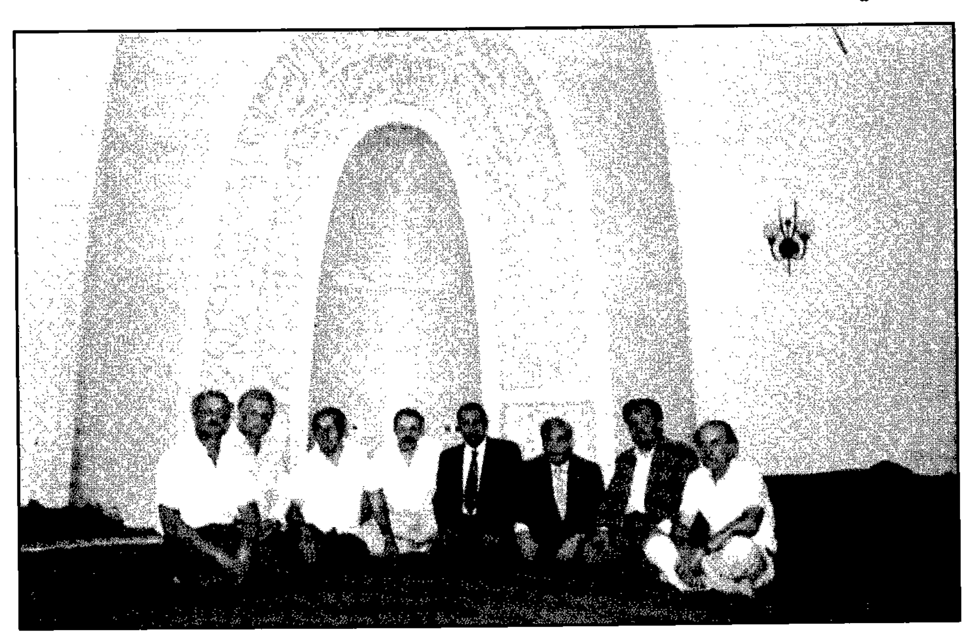
عبدالعظيم كارا محمدوفيتش، نائب رئيس لجنة البناء.

مرشد سربر نيكوفيتش، رئيس قسم الحقوق في مستشفى (شالاته).

الدكتور سليمان ماشوفيتش أستاذ في جامعة زغرب وعضو المجلس الإسلامي.

الدكتور عثمان موفيتش أستاذ (ميكانيكا) في جامعة زغرب.

الدكتور سليمان شامبمتش أستاذ بكلية علوم الزراعية في زغرب وعضو المجلس الإسلامي.



التقط المؤلف هذه الصورة لأعضاء لجنة المركز في محراب الجامع مع بعض أعضاء وفد الرابطة

حدثونا بأن المسلمين من أهل زغرب تبرعوا للمسجد بمليون ومائة وخمسين ألف دولار في عام ١٩٧٨م وذلك بعد الحصول على الأرض، وأما الآن فإنهم أعجز عن ذلك بسبب الأزمة الاقتصادية التي تمر بها يوغسلافيا وذكروا مثلاً على الأزمة الاقتصادية فقالوا: إن الشخص كان يكسب في المتوسط في عام ١٩٧٨م مابين ستمائة إلى سبعمائة دولار في الشهر أي ما يعادل ذلك بالعملة المحلية.

أما الآن وقد تدنت قيمة النقد الوطني وهو الدينار اليوغسلافي فإن ذلك المعدل قد هبط إلى مايساوي مائة دولار فقط في الشهر.

لأن الأسعار ترتفع بهبوط العملة حتى ما ليست لها علاقة مباشرة بالعملة الأجنبية وذلك قياساً على ما له علاقة بها، ولأن تكاليف الإنتاج حتى الزراعة ارتفعت مع هبوط

قيمة العملة وذكروا أن المسلمين من سكان زغـرب قد دفعوا حتى الآن ٣٢٪ من نفقات المركـز الإسـلامي هذا . والبقـية من تبـرعـات الأخـوة المسلمين في الخـارج ، وقـد بلغ ماصرف عليه حتى الآن عشرة ملايين دولار أمريكي .

قالوا : وفي عام ١٩٨٥م عجـز المسلمون عن النـفقة على المركز فأرسلـوا وفداً إلى المملكة العربية السعودية وحصلوا على بعض التبرعات وأبدوا إعجابهم بالحياة في المملكة وكيف أنها تطبق الإسلام .

وقال أحد أعضاء الوفد لقد شـاهدنا مدينة الرياض ، ونزلنا في فندق انتركونتنتال في شارع المعذر ، وأستطيع أن أقول جازماً بأن الرياض تعيش في القرن الحـادي والعشرين فقد تجاوزت شوارعها وجسورها وتنظيمها القرن العشرين .

قال الأخ سالـم بن محمد : وأحسـن هدية لنا هي زيارتكم لبلادنا ومشاهدة مـركزنا على الطبيعـة لأنكم ستحسون بلاشك حين ترون هذا المـركز أن أخوانكم في الدين من أهل زغـرب هم ذوو إيمان قـوي وأنه لولا ذلك لما استطاعـوا أن يشـيـدوا هذا المركـز العظيم وقالوا : كل إخـوانكم المسلمين العاملين بالمركز هم يتـبرعون بأموالهم وأنفـسهم ويعتبرون أنه مشـروع مهم لهم وأنه رمز صمودهم وبخاصة في هذه البقعـة الشيوعية من شـرق أوروبا وإذا لـم يتم المشروع بأن عـجـزنا عن إكمـاله فـإن ذلك سيكون عـاراً على المسلمين في هذه البلاد وخارجها .

وذكرو أن مايحتـاج إليه المركز الآن محطة لتوصيل الكهـرباء والهاتف وسحب المياه والمجاري بطول ألف متر .

وإنشاء طريق أسفلتي دائري حـول المشروع وطريق آخر طوله ثلثمائة مـتر وعرضه ٨ أمـتار لـوصل المشروع بـشبكة الـطرق الرئيسـيـة في المدينة ، وإنجـاز ممرات المشـاة داخل أرض المشروع ، وردم الأراضي المنخفضة المجاورة له .

وذكروا أن تكاليف هذه الأمور كلها تقد بـثمانمائة ألف دولار وأنهم قد حصلوا من الحكومـة على رخص بالقـيام بهـا كلهـا ، ولـم يبق عليـهم إلا الحصـول على المال والبـدء بها .

فألقيت كلمة رددت فيها على كلامهم بأن عملهم هذا من الأعمال الجليلة الخالدة التي يبقى ثوابها مستمراً لمن أسهم فيها، وأنهم يجب عليهم أن يحمدوا اللّه سبحانه وتعالى الذي أجرى هذا العمل الإسلامي العظيم على أيديهم.

وذكرت لهم أن رابطة العالم الإسلامي تعمل على مستوى العالم كله، حيث أن ميدان عملها يشمل كل مكان على وجه الأرض يوجد فيه مسلمون، لذلك كانت مسئولياتها عظيمة، وواجباتها كبيرة ولذلك كانت تأخذ بمبدأ الأهم فالأهم والأولى على الأقل أهمية، ومع ذلك فإننا سوف نعمل على أن تسهم الرابطة في إكمال هذا المشروع ونرجو أن تصلهم المساعدة المطلوبة بإذن اللّه.

ثم قلت لهم: إن مشروعكم هذا سيكون حافزاً لمن يراه من الإخوة المسلمين الذين قد يتراخون عن إنشاء المراكز الإسلامية في بلادهم، لأنكم أقمتموه مع ضعف الإمكانات، وقلة الأنصار فلكم الأجر العظيم والثواب الجزيل من اللّه سبحانه وتعالى إن شاء اللّه.

الجامع في زغرب

هذه نبذة مكتوبة أعدها هؤلاء الإخوة باللغة العربية حول بناء الجامع رأيت نقلها هنا إتمامًا للموضوع.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله...﴾ سورة التوبة ١٨.

إن لمدينة «سراييفو» عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك الاشتراكية جامع «الغازي خسروبك» الشهير وبجانبه مائة أخرى.

ولبلغراد عاصمة جمهورية يوغسلافيا الاشتراكية الاتحادية جامع «بايراقلي» اللطيف. أما مدينة «سكوبيه» و «بريشتينا» و «تيتوغراد» وكثير من المدن الأخرى في يوغسلافيا لها جوامعها. بعضها من محاسن الآثار الإسلامية المعمارية ولوجود المعالم التاريخية يرجع بناءها إلى القرن السادس عشر ومابعده.

إن كثيراً من المساجد التي تضررت خلال الحرب العالمية الثانية قد جددت كما بنيت أخرى جديدة بعد تحرر البلاد بعد سنة ١٩٤٥ إلى يومنا هذا.

ومدينة «زاغرب» عاصمة جمهورية كرواتيا الاشتراكية ستحصل عن قريب بعون الله تعالى ثم بتأييد مسلمي بلادنا وبلاد العالم على جامعها النموذجي الذي يتناسب مع حجم المدينة ويلبي رغبة العديد من المسلمين المقيمين بالمدينة بل بالجمهورية أجمعها. ومن هنا ظهرت الحاجة إلى بناء جامع نموذجي حديث يتمشى مع تطور المدينة ومتطلبات التخطيط الحديث بل ليضارع المباني الدينية الأخرى.

إن المسلمين يتوافدون إلى الجزء الغربي من وطننا (يوغسلافيا) من المناطق الآتية –

البوسنة والهرسك وسنجاق وتسرناكورا (الجبل الأسود) وكوسوفو ومقدونيا إما للدراسة أو الاستيطان وبحثًا عن العمل.

وفي سير التطور الاقتصادي والثقافي السريع والديناميكي ليوغسلافيا والذي يتميز بالتعمير والهجرات يتوافد المسلمون من المناطق النامية إلى المناطق المتقدمة اقتصاديًا مما يتطلب تأقلمهم مع الظروف الجديدة حين اختلاطهم بسكان المناطق الأخرى.

والجدير بالذكر أن في مدينة «زاغرب» يقيم عدد كبير من الطلبة الذين وفدوا من البلاد الإسلامية طلبًا للعلم في جامعة «زاغرب» وهم يشعرون أيضًا بعدم وجود مسجد يؤدون فيه فرائضهم الإسلامية.

ومدينة «زاغرب» بموقعها في وسط جمهورية كرواتيا تشكل مركزًا يعتبر من أكبر مراكز بلادنا الاقتصادية والثقافية وكثيرًا مايزورها الرّواد والوفود من البلاد الإسلامية فمن المبرر سؤالهم عن عدم وجود جامع يمكنهم من أداء فرائضهم الدينية.

إن المكان الذي أنشأ كمصلى يستخدم في مدينة «زاغرب» من سنة ١٩٣٥ لسد حاجة المسلمين أصبح اليوم لايشبع رغبة المسلمين في تلبية كل المتطلبات الحديثة لحياتهم الدينية. إن رغبة المسلمين العائشين في هذه المدينة ومناطق كرواتيا الأخرى قد وجدت التفاهم الكامل من المجلس البلدي وكل الجوانب السياسية والاجتماعية الأخرى التي ضمنت قطعة الأرض المناسبة لبناء الجامع.

وقد سلمت قطعة الأرض رسميًا لرئيس العلماء الحاج سليمان كمورا ورئيس مجلس الجماعة الإسلامية العالي في يوغسلافيا الأستاذ الدكتور مصطفى كامريج في زيارتهما لمدينة «زاغرب» وهما اللذان أبديا تأييدهما الكامل لتنفيذ هذا المشروع المبارك. وقد أصدر كل من مجلس الجماعة الإسلامية العالي والمجالس الأخرى والمشيخات الإسلامية بعد انعقاد جلساتها بقراراتها ناشدت فيها كل المجالس الإسلامية والأئمة في يوغسلافيا أن يبذلوا كل جهودهم في جمع تبرعات لبناء الجامع في «زاغرب».

حسب أسس السياسة المبينة في دستور جمهورية يوغسلافيا الاشتراكية فالدين

منفصل عن الدولة فإنه أمر خاص يتعلق شخصياً والحرية الدينية مكفولة. إن الطوائف الدينية في ظل الدستور وقوانين الدولة تمارس نشاطها الديني مثل التعاليم الدينية وإقامة الفرائض والحفلات الدينية وتهيئة كادرها الخاص.

إن الجماعة الإسلامية في جمهورية يوغسلافيا الاشتراكية الاتحادية على أساس دستور الجماعة الإسلامية الذي وضعته بنفسها وسنت قوانينها الأخرى لإدارة شؤونها بذاتها يشتمل على حرية التعليم الإسلامي والتعليم الديني للأطفال وإلقاء المحاضرات في المساجد وإصدار المجلات والنشرات الأخرى وإقامة الفرائض والاحتفالات الدينية.

أما المدرستان الثانويتان الإسلاميتان كمدرسة «الغازي خسروبك» في مدينة «سرايفو» ومدرسة «علاء الدين» في مدينة بوشتينا فتقومان بتهيئة تلاميذهما للوظائف الدينية. ويوجد عدد لابأس به من خريجي هذه المدارس كطلاب الكليات الإسلامية في البلاد العربية المختلفة. وتجرى حاليًا الاستعدادات لتأسيس الكلية الإسلامية في مدينة سرايفو.

ولأجل كل ماتقدم فإن مجلس الجماعة الإسلامية في «زاغرب» قد بدأ حملته لبناء الجامع وذلك بتأييد كل من المجالس الإسلامية في كرواتيا وسلوفينيا والمنظمات الإسلامية العالية. وبعد استعدادات أساسية بمشاركة المؤسسات الهندسية من سرايفو وزاغرب وعلى أساس مسابقة علنية لتصميم مبنى الجامع قامت اللجنة التي كان على رأسها الأستاذ عمر موياجيچ والأستاذ محمد قاضيچ باختيار التصميم المعماري للأستاذ المهندس يوارى نايدهرت الأستاذ المهندس جمال چه ليچ وكلاهما من سرايفو. ومن التصميم المعماري المرفق يبدو التناسق وعظمة فن المعمار الإسلامي وفن المعمار الحديث وهو سيضارع أجمل الجوامع في أوربا. . إن هذا الجامع ومايتبعه من مبان يتناسب ويتماشى مع أمثاله من الجوامع الحديثة للمدن الكبيرة في العالم.

إن بناء الجامع في مدينة «زاغرب» هو واجب المسلمين الذين يعيشون في كرواتيا وسلوفينيا وعليهم أن يبذلوا كل ما في وسعهم كما أن على مسلمي يوغسلافيا بأجمعهم مدّ يد العون والمساعدة المالية لإقامة هذا الصرح الإسلامي لأن واجب كل مسلم في

إشادة بيوت اللّه في الأماكن التي تخلو منها. ومن المتوقع أن كل مجلس الجماعات الإسلامية وكل الأئمة والمؤسسات الإسلامية ستبذل أقصى جهدها في جمع تبرعات لهذا الغرض السامي.

وباهتمام خاص نرغب أن يظهر المسلمون في سائر أقطار العالم وقاراته التضامن لبناء هذا الجامع، إننا واثقون من أن المسلمين ذوي القدرة بدافع الإيمان باللّه بتبرعهم السخى سيسجلون أسماءهم في سجل واقفي هذه المؤسسة وغيرها من المنشآت الدينية. إن إنشاء وإدارة ورعاية المساجد تعتبر عند اللّه سبحانه وتعالى من أحل الأعمال كما ورد في القرآن الكريم.

ولقد أنشأ أجدادنا عدة مؤسسات دينية وثقافية واجتماعية لعبت في تاريخ شعوبنا دوراً هامًا في نشر الثقافة والتعاون والأخوة والصحة. إن في كثير من أقطار العالم الأخرى قامت المنجزات الفنية القيمة التي لاتقدر بثمن أنشئها الأفراد من تبرعاتهم الخاصة مدركين أن بناء المساجد من خير أعمال البر التي أكرم بها الإنسان – ومن أجل ذلك نتوقع من الأفراد والمؤسسات المساهمة الفعالة في إنشاء الجامع في مدينة «زاغرب». وبلاشك أن التصميم الملحق والوصف يكفيان أن يكونا حقيقة ملموسة فحسب بل ليبرز الهدف النافع وعظمة البناء المعماري لهذا الجامع.

ومن أجل بناء بيت اللّه مثل هذا لايجوز أن ندخر جهداً ومالاً لأن من قوله تعالى – ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا ماتحبون...**﴾ (آل عمران –٩٢).

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

ملحوظة :

رقم حسابنا في البنك للتحويل الخارجي KBZ 30101-6200-16-2320027852

رقم حسابنا في البنك للتحويل الداخلي KBZ 30101-620-16-32002-10-533

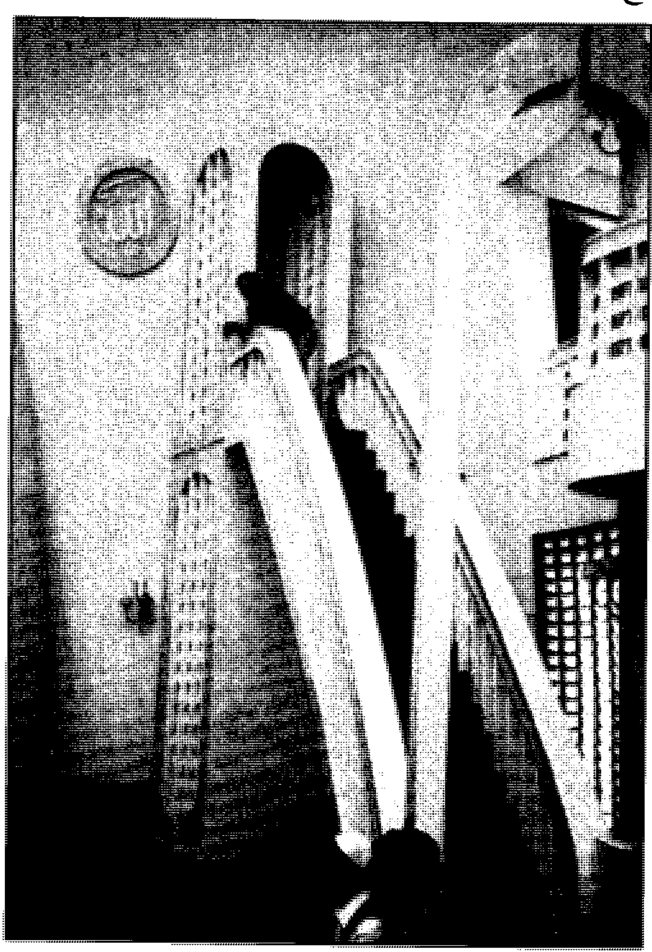
العنـــوان

مجلس الجماعة الإسلامية في «زغرب»
ODBOR ISLAMSKE ZAJEDNICE
Tomasiéeva 12. tel. 421-079.
ZAGREB, JUGOSALAVIJA

ثم تكلمت النبذة عن أرض المسجد بما سبق إلى أن قالت :

أمّا المصلى الرئيسي (بسعته ٣٢٠ متراً مسطحاً) فإنه متصل بالبهو عن طريق الباب المتحرك بأكمله الذي يمكن إزالته بغية الحصول على أوسع المكان (مثلاً أثناء العيدين)، والمصلى ذو القشر البيطوني الذي يشبه سماء النجوم وكرمز جمع المؤمنين ومع مأذنة الجامع (إبرة بيطونية) يمثلان شكلاً أساسيًا لهذا التنظيم المعماري كله.

ومن طرف أيمن لصحن الجامع يقع المدخل الداخلي للإدارة المكونة من غرفة الاستقبال وثلاث المكاتب (٤ × ١٦ متراً مسطحاً). وللمدرسة قاعتان للمحاضرات (٢×٤٠م٢) والبهو مع مستودع الملابس ودورات المياه.



منبر جامع زغرب

أمّا القاعة الصيفية مع المنظرة والعريش فإنها متصلة بملعب صغير بمتناول اليد للأطفال. وفي مواصلة إنشاء هذا المشروع توجد الإمكانية لاستعمال المباحة التي يقع فيها حاليًا مشتل المدينة لملعب الشباب.

ويدخل الزوار عن طريق المدخل الخاص المتجانب عن مدخل الجامع، والبهو الواسع للنادي الاجتماعي. وهذا البهو متصل بجميع المرافق للنادي (قاعة الاجتماعات والمقهى، وغرف خاصة لمختلف النشاطات والفعالية والمكتبة والإدارة) ليعطي الإحساس بكتلة واحدة أو وحدة أساسية اجتماعية عضوية. ويرجع الفضل إلى هذا أن الحياة الاجتماعية في النادي لايمنع أداء شعائر الدين والعبادة في الجامع التي تطلب الهدوء الكامل. ويدخل الزوار قاعة النادي من داخل الباب المتحرك الذي يمكن استعماله في الوقت نفسه لتوسيع سعة المسرح في القاعة تجاه البهو.

أمّا القاعة (سعتها ٣٢٠ مترًا مسطحًا) ذات أربعمائة مقعد للجلوس فإنها مصممة على شكل يمكن استعماله لعرض المسرحيات المختلفة، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف وضع تصميم هذا المسرح، كما ذكر، لعرض أعمال وإنتاج مختلفة ذات لون اجتماعي فيها. (مثل إلقاء المحاضرات وعرض المسرحيات والرقصات الشعبية والحفلات... وعرض الأفلام وغيرها من الأعمال البشرية) وهذا المسرح متصل بصورة مباشرة بمستودع الملابس للذكور والنساء على حد سواء. ودورات المياه (٢×١٦ مترًا مسطحًا)، أمّا المكان لستار المسرح فإنه يوجد في الدرك الأسفل، بينما غرف خاصة لنشاط الشباب (فرقة أدبية وفرقة مسرحية وفرقة للغات الأجنبية وفرقة موسيقية – ٤×٢٠م٢) تقع في الغرف الواقعة جنب البهو.

ويمكن الوصول إلى المكتبة عبر البهو المذكور، كما يمكن الوصول إليها من داخل صحن الجامع إذا دعت الحاجة إلى ذلك. ويوجد مكتب أدراج الفهارس وموظف المكتبة (١٤م×٢) في الوسط على وجه أن قاعة القارئين وزوار المكتبة تقع على جانب أيسر (٣٠م٢) وتستوعب حوالي ٢٠ قارئًا، ومن جانب أيمن يوجد المخزن لتخزين الكتب والذي يسع مكانه لوضع ما بين أربعين أو خمسين ألف كتاب.



صورة تذكارية مع أعضاء
لجنة المركز

والمكان الاجتماعي لإجراء المحادثات ذو المقهى الصغيرة (٦٠م٢) متصل بمكان عقد الاجتماعات لموظفي الإدارة وبالمقهى (٦٠م٢) وبالمطبخ (٥٠م٢) من طرف آخر. وتوجد المستودعات الكبيرة بفضل قشرها البيطوني الذي يمثل مع قشر الجامع جاذبية معمارية مضادة لقشر الجامع.

الإسكان. وتوجد في الطابق الأول فوق الغرف الاجتماعية غرف الضيوف وهي ذات السرير أو السريرين (٦×١٨م٢) وفي نهاية الممر الداخلي توجد الردهة (تشارداق) للضيوف مع المقاعد للجلوس (التي تسمى سكيا) والمدخنة والمكتبة الصغيرة بمتناول اليد.

الأمكنة الخارجية (المرافق الخارجية)

وتوجد جنب هذه الأبنية مواقف السيارات، في داخل الفناء الاقتصادي (٢٠) وجنب الجامع (٥٠) وكذلك الجراجات تحت الجامع (حوالي ٢٥) يعني يتراوح مجموع مواقف السيارات ٩٥ موقفا).

وينص المشروع على أن يكون الأشجار حول المنشآت ذات القوام الطويلة والقصيرة والتي سيعطى لها صف الأشجار أو الستار الأخضر الموجود حاليًا من الأشجار صورة خلفية إعجابية. وفي المرحلة الأولى من الإنشاء طول المدة حتى أن يوسع شارع «بيبينيتشكا» سيكون من الممكن استعمال سياج الأشجار الذي ينص عليه المشروع كموقف السيارات أيضًا.

انتهت النبذة المطبوعة عن الجامع.

الغداء في الجبل الأخضر :

انتقلنا مع الإخوة من هذا المركز الإسلامي العظيم قاصدين مطعماً في مكان سياحي على متن جبل أخضر فتناولنا فيه طعام الغداء في الواحدة والنصف .

فكان غداء سخيًا أبى الإخوة الكرام إلاّ أن يكون بنفقتهم وعلى حسابهم من الجمعية الإسلامية وكان الطعام من لحم البط المشوي اللذيذ والسلطات الخضر التي يعز وجودها في الشتاء وتكون كثيرة متنوعة في هذا الوقت الصيفي ، وجبن أصفر مما تنتجه هذه البلاد إلى بقية الطعام المعتاد .

وكان حديث هؤلاء الأخوة على الطعام أشهى من الطعام رغم كون الطعام شهيًا لذيذاً وكان الأخ (شوقي) يتكلم بالعربية جيداً والدكتوران يتكلمان بالانجليزية .

وبعد الغداء انحدرنا من هذا الجبل الأخضر ذى الهواء العليل فاخترقنا جزءاً من مدينة زغرب الذي يبين عليه الغنى القديم ، ويشهد بثراء لأهلها ضاع .

وأخبرنا اخوتنا أن كثيراً من المساكن الفاخرة هذه التي مررنا بها كانت ملكًا للملاك الزراعيين الأغنياء . ثم صعدنا تلة جبلية أخرى بغية التجول على الأماكن الجميلة في المدينة فوجدنا هذه التلة الجميلة تكاد تكون غابة واحدة ملتفة .

ومررنا بقصر واسع فخم تمتد أسوار حدائقه الواسعة ألفا وخمسمائة متر على الطريق ذكروا أنه القصر الصيفي للمارشال تيتو رئيس يوغسلافيا السابق كان ينزله في فصل الصيف في بعض الأحيان وقد جعلوه داراً للضيافة الحكومية .

الخروج للمطار :

ومن هذه المنطقة الخلوية قصدنا مطار زغرب للسفر منه إلى بلغراد وذلك أننا كنا قد هيأنا أمتعتنا في الفندق فأرسلوا شخصًا تسلمها من الفندق في الظهر لئلا تلزمنا ا الأجرة لهذا اليوم ، ودفعوا الأجرة وأبوا إلاّ أن يدفعوها ، وذلك بالعملة المحلية بالنسبة إليهم ولو دفعنا ذلك بأنفسنا لاقتضى الأمر أن ندفعها بالعملة الأجنبية وهي الدولار الأمريكي .

واخترقنا المدينة في جولة على أماكن فيها لم نرها من قبل فرأينا الجسور فيها قليلة وأما السيارات فإنها كثيرة ولكنها ليست في كثرتها في البلدان الحرة في الاقتصاد مثل بلادنا على سبيل المثال .

وأما الناس فإننا رأيناهم قد لبسوا لباس الصيف أو لنقل تخففوا من اللباس حتى لم يبقوا منه إلا القميص ذا الكمين القصيرين والتبان وهو السروال القصير . وحتى نساؤهم قد تخففن من اللباس في هذا الفصل الصيفي القصير ، ولكنهن لايتبرجن تبرج جاهلية الغرب مع أن بلادهن تعيش جاهلية الشرق ، ولكن نقص الأموال وانخفاض الدخول ، وعدم التركيز في الإعلانات على الصور العارية ومناظر النساء المستهترات قد حد من مظاهر الخلاعة والتهتك .

وكان الطريق يخترق في داخل المدينة ضواحي حديثة مؤلفة كلها من (عمارات) شاهقة منسقة بهيجة الطلاء لأنها الوسيلة الوحيدة لإنشاء المساكن الجديدة في مدن البلدان الشيوعية كما قدمت .

وكلها أنشأتها شركات القطاع العام التي هي تابعة للدولة وتؤجرها للمواطنين وبعضها مخصص للبيع على القادرين الذين أسعفهم الحظ بفرص الخروج من البلاد والعمل في بعض البلدان الحرة في الاقتصاد فاقتصدوا مالاً احضروه واشتروا به شقة لايستطيعون أن يضيفوا إليها شقة ثانية أو سكنًا آخر حتى ولو ملكوا مال قارون أو كنوز سليمان لأن النظام الشيوعي يمنع أن يملك المرء أكثر من منزل واحد .

وشاهدنا من طريق المطار في النهار ما لم نكن شاهدناه في الليل فرأينا حقول الذرة النضرة على جانبي الطريق ، والذرة تزرع في أوروبا الشرقية بكثرة في الصيف لأن عمرها قصير كعمر صيفهم وهي تفيدهم لإطعامهم وإطعام علفها لأنعامهم .

وفي هذه المنطقة الريفية مابين المطار والمدينة بيوت منفردة من طابق أو طابقين ذكروا أنها مملوكة للأفراد لأنها خارج المدينة ، وأكثرها مبنى بالآجر المدعم بأعمدة من الأسمنت وسقوف حمر من الآجر أيضًا .

وكنت في السيارة أشعر بالحر فذكرت بهذه المناسبة البرد الشديد الذي كان سائدًا في يوغسلافيا عندما وصلت إلى العاصمة بلغراد، وكانت درجة الحرارة فيها أنذاك ١٨ درجة مئوية حتى الصفر. وذكروا لنا بهذه المناسبة أن الشتاء كان قاسيًا في هذا العام حتى إن درجة البرودة قد تدنت عندهم في وقت من الأوقات إلى ٢٦ درجة مئوية تحت الصفر.

من زغرب إلى بلغراد :

ودعنا اخوتنا في الإسلام، وداع الكرام فقامت الطائرة في الثامنة إلا ربعًا واستغرق الطيران نصف ساعة إذ وصلت مطار بلغراد في الثامنة والربع. وهي طائرة أمريكية الصنع من طراز بوينغ ٧٢٧.

وعدنا إلى النزول في فندق يوغسلافيا الذي كنا فيه قبل سفرنا إلى سراييفو وزغرب وهو الذي يقع على نهر (ساوا) كما سبق وأجرة الغرفة فيه هذه المرة خمسون دولارًا أمريكيًا تضاف إليها أجرة خدمة قدرها ١٠٪.

يوم الأحد ١٤٠٥/١١/٤هـ ١٩٨٥/٧/٢١م

مغادرة بلغراد :

كنا حاولنا الحصول على سمات الدخول إلى رومانيا من سفارتها في أثينا وقد شعفت لنا سفارتنا السعودية هناك فلم تشفع ولم ترد وإنما قالت السفارة الرومانية إنهم يمكنهم الحصول على سمة الدخول من المطار كما هو المعتاد للسياح الذين يقصدون البلاد.

ثم ذهبنا إلى السفارة الرومانية في بلغراد فكررت ما قالته رصيفتها في أثينا ولم يجد عندها قولنا: إننا نخشى ألا نحصل على السمة من المطار وقد نذهب إليها مع الحدود البرية لأنه لايوجد طيران مناسب إليها اليوم ولا في الغد من بلغراد، فكرروا ما قالوه بأننا يمكننا أن نحصل على السمة من الحدود البرية كما يمكن ذلك من المطار.

لذلك حزمنا أمرنا الليلة البارحة وواعدنا سيارتين من سيارات الأجرة القوية من صنع شركة مرسيدس بنز الألمانية استاجرنا كل واحدة بمائتي دولار أمريكي من بلغراد إلى بوخارست .

واتفقنا مع السائقين أننا إذا لم نحصل على السمة لدخول رومانيا فإن الأجرة تكون حسب عداد الأجرة الرسمي من الحكومة لأن الأمر يختلف حينذاك .

تركنا فندقنا فندق يوغسلافيا في الساعة العاشرة من هذا الصباح وتجاوزنا جسراً حديدياً فوق نهر الدانوب الذي يسمونه النهر المسموم لأن مياهه لاينتفع بها إلا لتوليد الكهرباء ، فلا تصلح للشرب لأنها ملوثة بمواد كيماوية ضارة تنفثها المصانع المقامة على شاطئيه في البلدان الأوروبية التي يمر بها ، ثم فارقنا مدينة بلغراد فوصل الطريق إلى غابات كثيفة تركت من أجل الانتفاع بأخشابها ، ثم اخترقنا جسراً فوق نهر (ادا) وهو نهر صغير ومع ذلك رأينا على شاطئيه مئات من المصطافين بثياب الشاطئ .

بلدة بانجبون :

ومررنا ببلدة بانجبون ومن أهم معالمها التي ترى منها من الطريق قناة كبيرة مفعمة بالمياه وأرض ريفية خصبة معمورة كلها بالزراعة .

وأكثر المزروعات فيها ظهوراً حقول الذرة النضرة والقمح الحصيد ، وفي حواشي الحقول والحدود بينها حشائش كثيفة وزهور نضرة .

على الحدود الرومانية :

قبل الوصول إلى نقطة الحدود بالضبط وقفنا عند مركز الحدود اليوغسلافية فكانت معاملتهم لنا كريمة عند الخروج كما كانت عند القدوم في المطار .

ثم سرنا بالسيارة مسافة كيلو مترين اثنين حيث وصلنا مركز الحدود الرومانية .

وقد أجفنلنا حين رأينا ضباط الجوازات والجمرك يلاقوننا بوجوه عابسة ، ويتكلمون معنا بجفاء ، وكأنما جئنا نستجديهم .

وقال ضابط : لابد أن تتأكدوا قبل النظر في منحكم سمة الدخول أن مع كل واحد منكم ثلاثين دولارًا أمريكيًا يجب أن يصرفها بالسعر الرسمي في هذا البنك وهو بنك حكومي كغيره من الدوائر الحكومية فأريناه مائة وثمانين دولارًا أمريكية لنا نحن الستة .

فتركنا فترة طويلة انتهزناها فرصة للتمشي في هذا المكان الذي يسمونه (فيرسا) ورأيت عجبًا في محطة الحدود التي هي أشبه بالبوابة من الأسمنت المسلح حيث وجدت الخطاطيف جمع خطاف وهو الطائر الذي يمر ببلادنا عند هجرتيه من جنوب الأرض إلى شمالها في الربيع وبالعكس في الخريف ويسميه العامة بالخاطوف فرأيناه قد بني أعشاشه في سقف هذه المحطة وما حولها من السقوف ورأيناه يقع مرارًا حول أعشاشه يطعم صغاره مع أنه في بلادنا قليل الوقوع على الأرض أو الشجر ولذلك قالت العامة عندنا في أمثالها للفعل النادر الحدوث : «وقعة خاطوف» .

وعلى ذكر هذا الطائر أقول: إنني رأيت عددًا كبيرًا من طيور القماري تسير في الطريق الأزفلتي العام لايذيرها أحد ، ولاشك في أنها أيضًا من الطيور المهاجرة التي جاءت إلى هذه المنطقة الأوروبية الشمالية لتقضي فيها فصل الصيف الطويل هربًا من فصل الشتاء الذي يقصر نهاره في النصف الجنوبي من الأرض فلاتستطيع الطيور أن تحصل على مايكفيها من الغذاء في النهار .

ولقد لاحظت قلة القادمين إلى رومانيا من هذه الحدود ، فقد أخذ الضابط جوازات السفر منا وهي ستة وتركنا ولم يكن معنا أحد ، فانتهزت أيضًا فرصة للتصوير وصورت هذه المنطقة الحدودية . ومع أنها محطة معتادة ، وليس فيها مايخشى عليه فإن الإنسان يعتبر أن الحصول على صورة مثل هذه الصورة التي لايلقي أهل البلاد الحرة لها بالا هو مكسب عظيم .

ولم نر الضابط الذي تسلم جوازاتنا ولكن مر بنا غيره فأخبرناه بأمرنا وطلبنا منه أن يستعجل صاحبه فكان أن قال بجفاء وغلظة : انتظروا .

وبعد أن أمضينا ساعتين إلا ربعًا من الانتظار جاء الضابط معه الجوازات ومعه ضابط

آخر أكبر منه وقالا: لا (فيزا) ويجب أن تعودوا من حيث جئتم إلى يوغسلافيا.

كبر علينا الأمر وحاولنا أن نفهمهم ماظننا أنهم لم يفهموه منا، وأننا جئنا هنا بناء على إشارة من سفارتيهم في أثينا وبلغراد ولكنهم لم يكلفوا أنفسهم حتى عناء الاستماع إلى ما نقول.

العودة إلى يوغسلافيا :

فرجعنا إلى نقطة الحدود اليوغسلافية الي خرجنا منها وكانوا ختموا على جوازاتنا بالمغادرة فأسرعوا وهم يرحبون يختمون عليها بختم جديد للدخول ولم يستغرق ذلك كله منهم إلا دقيقتين اثنتين.

فجلسنا في مقهاة يوغسلافية قريبة من الحدود للراحة وتناول الشاي حيث كنا طيلة بقائنا في مركز الحدود الرومانية واقفين أو مستندين إلى الحيطان، لأنه لايوجد مقهاة ولا مكان للاستراحة فيه.

وتناولنا الخبز مع الجبن والشاي حيث قررنا بالاتفاق مع السائقين الذين معنا أن نتوجه من هنا إلى بودابست عاصمة المجر بدلاً من ذهابنا المقرر إلى بوخارست ولم نتمكن منه، إلا أننا كنا نخشى أن نلاقي متاعب في المجر مع أننا نحمل سمات دخول إليها من سفارتها في أثينا فقال أحد السائقين وكان سافر إلى الكويت ويقول: إنه يحب أن يتعامل مع العرب وهو يعرف قليلاً من الانكليزية: رومانيا، نوقود، وهنغاريا قود، أي رومانيا غير طيبة والمجر طيبة.

واتفقنا مع السائقين على أن نزيدهم في الأجر خمسين دولارًا أمريكيًا لكل سيارة زيادة على ما كنا اتفقنا معهم على دفعه لهم من بلغراد إلى بوخارست عاصمة رومانيا.

السفر إلى المجر :

تركنا هذا المقهى في الثانية ظهرًا وقال السائق: سوف نصل إلى بودابست في الثامنة ليلاً فقلنا : إن شاء الله.

وعدنا أدراجنا مع الطريق الذين جئنا معه ثم انعطفنا إلى اليمين سالكين جهة الشمال فمررنا دون أن نقف ببلدة رأيت فيها ما رأيته في البلدة الاستوائية في آسيا وإفريقية وحتى البحر الكاريبي بين الأمريكتين الشمالية والجنوبية رغم بعد هذه المدينة اليوغسلافية عن خط الاستواء وهو أن مجاري المياه المستعملة فيها تجري في قنوات صغيرة على جانبي الشارع وهي مكشوفة، إلا ما يحاذي أبواب المنازل فإنهم يضعون على قناة المجاري خشبة أو نحوها يمرون فوقها.

ولاشك في أن الضرر هنا من المجاري هو أقل من البلدان الاستوائية لأن هذه البلاد اليوغسلافية باردة في معظم فصول السنة، فلايتولد فيها بعوض أو حشرات ضارةً، بخلاف الأقطار الاستوائية التي ترك أهلها قنوات المجاري هذه مكشوفة فإنها حارة أبداً ولكن اللّه سبحانه وتعالى قد أعطاهم المطر الكثير الذي ينزل وقد سلطوا مجاريه على هذه المجاري فيحملها إلى منتهاها في نهر، أو بحر قريب، وإنما يتأذون منها إذا تخلف المطر عن موعده المعتاد.

ثم اعترض الطريق قطار يمر مسرعًا وهو كثير العربات إلا أنه غير جيد المظهر وهو مخصص لحمل البضائع لا لحمل الركاب.

وقد تعددت القرى التي مررنا بها في هذا الريف اليوغسلافي الخصب وهي ذات بيوت أغلبها من طابق أو طابقين سقوفها حمر مسنمة لكي تنزلق عنها مياه الأمطار وتسهل إزاحة الثلوج الكثيفة عنها في الشتاء.

وفي كل قرية من القرى التي مررنا بها نرى كنيسة ظاهرة الشعار، رغم كون حكومة البلاد الشيوعية معادية للأديان ولكن معاداتها أهون من معاداة غيرها من البلدان الشيوعية في أوروبا الشرقية كما سبق.

وأكثرها أيضًا قد تخفف أهلها وبخاصة من الشبان من الثياب في هذا الفصل الصيفي الحار بالنسبة إليهم وأما بالنسبة إلينا فإنه الربيع الذي لايشكو فيه المرء حرًا ولا قرا.

وعجبت لإتساع المزارع التي زرعوا فيها الشمسي كما نسميه في بلادنا ويسمى في غيرها عباد الشمس وهو المشهور بزهره وبزره. وأخبرونا أنهم ينتفعون ببزره يعصرونه، ويستفيدون من الزيت الموجود فيه هو كالذرة قصير العمر سريع الإدراك.

والريف هذا على وجه العموم هو ريف خصب غني، بل البلاد تبدو بمواردها الزراعية وثروتها المائية بلاداً غنية لاشك في أنها لو وجدت رأس مال حر وإدارة قوية لكانت عائداتها من الزراعة أكثر ولكانت بها أغنى.

أما الطريق فإنها أزفلتية جيدة إلا أنها غير واسعة وقد غرسوا على جوانب الطريق أشجاراً صارت الآن باسقة وهي من أشجار الأخشاب، وربما كانت في الأصل جزءاً من أشجار الغابات كان بعضها موجوداً قبل إنشاء الطريق فأبقوا عليه لذلك صار بعضها يبدو لنا ضخماً معمراً. والسيارات في الطريق قليلة جداً بالنسبة لما نعرفه عن السيارات في طرقنا.

ومررنا بعدة مزارع للزهور البهيجة المنظر، وتكررت رؤية الكنائس في القرى، وتكررت معها ملاحظة أن الكنيسة تكون أعلى بناء في القرية.

ومررنا بمقبرة لأحد البلدان فرأينا معظم قبورها تعلوها الصلبان مع أن البلاد شيوعية، غير أن بعض القبور ليس عليها صلبان، ولاندري ما إذا كان ذلك وصية من الميت ورغبة عن اتخاذ الصليب فوق قبره، أم ذلك لعدم عناية ورثته بوضع الصليب عليه.

ومن الطريف في الأمر - إن كان في المقابر طريف - أن أحد القبور قد وضع فوقه تمثال حمامة بيضاء بديلة من الصليب.

والحمامة رمز السلام، غير أن الميت في قبره يحتاج إلى سلام روحي وليس بحاجة إلى رمز للسلام بين البشر.

والبيوت في هذا الريف كلها من الحجارة أو الأسمنت أو الآجر حسب قرب البلدة من التلال الجميلة أو بعدها عنها.

ووصلنا إلى بلدة اسمها (آدا) وهي ذات بساتين نضرة، وفيها مصانع عدة تنفث مداخنها الدخان الكثيف بعضها كبير وبعضها صغير حسبما رأيناه من ظاهرها. ثم تناولنا طعام الغداء متأخراً في مطعم فاخر بعدها.

وفي السابعة مساء وقبل غروب الشمس بكثير كنا نصل حدود المجر وللحديث عن الرحلة في المجر ومعها أقطار أخرى من الأقطار الشيوعية في شرق أوروبا كتاب آخر عنوانه: «خلف الستار العقيدي».

قبل انقطاع الحديث

نحب قبل أن نقطع الحديث عن يوغسلافيا أن ننقل نص بيان نشرته مجلة (غلاسنيك) التي تصدر في بلغراد وهو يذكر بالأرقام عدد المساجد والمراكز الإسلامية هناك.

قالت المجلة الصادرة لشهري (أكتوبر – نوفمبر) للسنة ١٩٧٨، رقم ٦

عدد المسلمين :

جمهورية بوسنا وهرسك، كرواتيا وسلوفينيا (المشيخة في/ سراييفو) . . ١,٨٥٠٠٠٠

جمهورية صيربيا (المشيخة في/ بريشتينا) ١,٣٥٠٠٠٠

جمهورية جبل الأسود (المشيخة في/ تيتوغراد) ١٥٠٠٠٠

المجموع الكلي : ٣,٨٠٠٠٠٠

هذه الاحصائيات مأخوذة من الاحصائيات الرسمية من السنة ١٩٧١، ويحتمل ازدياد هذا العدد على الأقل بنسبة ١٠ في المائة.

عدد المساجد والمباني المستعملة للدعوة والنشاطات الإسلامية :

	جمهورية بوسنا وهرسك وكرواتيا وسلوفينيا	جمهورية صربيا	جمهورية مقدونيا	جمهورية الجبل الأسود
المساجد :	١٠٩٢	٤٤٥	٣٧٢	٧٦
مصلى (مسجد بلا مأذنة) :	٥٦٩	١٢٥	١٩	٢
مبنى (مكان) للتعليم الديني:	٣٩٤	٣٥	١٠	٣٦
مدرسة متوسطة :	٢	١	١ في الإنشاء	–
الأئمة والمرشدون :	١١٠٠	٥٠٠	٣٠٠	٥٠

عدد طلبة المدارس المتوسطة والكلية : (اليوم)

مدرسة الغازي خسروبك المتوسطة الدينية : ٣٢٠

مدرسة علاء الدين المتوسطة الدينية : ٣٢٥

مدرسة الغازي خسروبك المتوسطة الدينية للبنات (سرايفو) ١٣٥

كلية البحوث (الدراسات) الإسلامية : ٧٠ مستمعًا و ٤٠ منتسبًا

ملاحظة :يمكننا أن نؤكد أن الاحصاءآت الواردة في «غلاسنيك» بالنسبة إلى حالة اليوم هي قليلة وأنها زادت ونقدر هذا الازدياد في حدود ١٠ إلى ١٥٪.

الاحصاءآت عن المباني الإسلامية بجمهورية البوسنة وهرسك وكيرواتيا وسلوفينيا، نظراً إلى إقامة المساجد الجديدة وترميم القديمة – بنهاية السنة ١٩٨٠

لقد أقيمت المساجد والمساجد من غير المآذن في مدة ما بين ١٩٤٥ إلى ١٩٨٠ كما يلي:

١) المساجد الجديدة ٤٠٦

٢) المساجد من غير المآذن ٣١٧

جرى ترميم المساجد :

١) المساجد الجديدة ٣٨٢

٢) المساجد من غير المآذن ١٦٩

تحت الترميم في آخر سنة ١٩٨٠ :

١) المساجد الجديدة ٥٥

٢) المساجد من غير المآذن ٢٩

قدم للمشيخة طلب للاستئذان لإقامة المساجد الجديدة والترميم :

١) المساجد الجديدة ٦٠

٢) المساجد من غير المآذن ٣٧

تـــم الكـــتـــاب



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣

الفهـــرس